على ناصية قلمي

كتاب خواطر وقصص قصيرة

لمجموعة من الكتّاب

فكرة وإشراف:

فاطمة محمد فوزي عبارة

وأسماء أحمد الدرغام

تدقيق وتنسيق:

كوثر حسن بادنجكي

الإهداء

إليكَ... إليكِ... إليكم..

لكل قارئ وقارئة، لكل كاتب وكاتبة..

لكل واقف على حافة المراهقة، الخوف، والقلق..

لكل عالق في دوامة استجوابات الحياة والأفكار..

لكل من ألهمنا، وأثار طموحنا، وساند وحدتنا لتخطي هذه العتبة واستغلالها أفضل استغلال..

نهديكم أفكارنا، أوهامنا، ومخاوفنا التي صغناها بأساليب تسحب مخيّلتكم وإيّانا لعوالم وقصص مختلفة لتترك آثارًا تُحفّز خطاكم إنطلاقًا نحو الحرية والسعادة.

إلى صنّاع المستقبل الواعد العادل.

كوثر بادنجكي

جدول المحتويات:

الإهداء..

جدول المحتويات: ....

مقدمة: ....

الفصل الأول: خواطر متنوعة 1

روح الحياة.. 3

سرقت معطف أبي 6

سيستجيب 9

أين بيتي؟.. 12

غـفـلـة 15

مميزٌ أنت.. 18

روح قلبي 21

عبثيّات سوداء.. 24

لساني يتحدث... 28

الذكريات بين السكون والانفجار.................................. 31

الفصل الثاني: مجموعة من القصص القصيرة 32
يُوْسف 34
بصائر الأفئدة.. 49
بعثرة الوجدان بين الأمن والأوطان 57
رغبات كاتبة.. 66
"أرانـــي" 70
ظروفٌ قاتلة.. 78
نغمة ألم.. 88
القريب الغريب.. 106
في رحاب الياسمين.. 110
هــوس.. 114
فقيد شهر فبراير 134
نافذة أمل 139
عقدة ألم.. 148

مقدمة:

على ناصية أقلامِنا سنقف، ونُعطر أروحًا باتت جافةً، لِنُشعل ما أطفأتَهُ الحياة، ونمضي مبتَسِمينَ رُغمَ العوائِق والثغرات المُرعِبة التي صادفت أيامَنا، لِنُقيمَ حربًا ونقف على ناصيةِ أقلامِنا بِروحٍ حقيقيةٍ غيرَ مزيفة، روح مُتعبة أنهكَتها التجارب ونصرتها العزيمة.

كِتابُنا أمل جديد لنا مبعوث مِن أرواحٍ تصادفت حُبًا مع الأقلام، لِنُخرج أنفسنا مِنَ الكَبَد والوهم الذي أغرقنا وسيطرَ علينا بِالكامِل.

مجموعة كُتَّاب جَمعتنا التجارب وحُب الحياة لِخوض هذه التجرُبة، وإطلاق أعمق أفكارنا في كِتاب على ناصية قلمي.

أسماء أحمد الدرغام

الفصل الأول: خواطر متنوعة

جميلة كياسمينة بيضاء،

فاتنة كطاووس ملون نشر ريشه فأحاطه،

يافعة كعود بانٍ يسرق الأنظار،

مميزةٌ كضوء قمر في عتمة المساء.

فتاةٌ أنتِ بنصف مجتمع بأعين العامة،

وبمجتمعٍ كامل بأفعالك،

بصفاتك وخُلقك، بكلكِ أنتِ.

فاطمة بسّام بيطار

روح الحياة

أيا فتاة الياسمين كيف حالكِ هذه الأيام؟ ألا يزال المجتمع ينظر إليك بازدراء؟ أما زلتِ في نظر الرجال ناقصة عقلٍ ودين؟ أما زالت هذه الحروف الفظة تؤثر بكِ، أم عرفتِ مدى قيمتكِ؟

يـا روح الحُـب، وكيـان التضـيحة، ورمـز العاطفـة، يـا صـبورة القلـب، ومربيـة الأجيـال، يـا شـامخة الأحـلام، مجتمـع بـأسرهِ أنـتِ أيّتها الأنثى.

أنـتِ عظيمـةٌ، معطـاءٌ ومضـحيةٌ، طـاهرةٌ، عفيفـةٌ ومتزنـةٌ، أنـتِ كينونة الحياة، فلا تُنقصي من قيمتكِ شيء يا أمان الحياة.

أيا أنثى..

لا تـدعي لكـلام متحجـر يزلـزل قـدراتك، ويطمـس شـغفك في الحيـاة، إيـاكِ والإصـغاء لهـوامش الحيـاة المحطـة لهممـكِ، إيـاكِ والمضيـ نحـو الخلـف، ابـقي صـامدة ومثـابرة، دعي الله نصـب عينـاكِ واسـعي نحـو الصـواب، إيـاكِ والخـوف مـن الصـواب، وإن كانـت الأرض ومـن عليهـا يخالفـك، فـالله معـكِ يـا وصـية محمّـد - صلى الله عليه وسلّم- معكِ لأنكِ الروح لهذه الحياة.

أيا أنثى..

لا تجعلي هذه الأيام تعجزكِ، فأنت تستحقين، وستصلين إلى قمم النجاحات، بأرجل ثابتة، واثقة، ومعطاءة.

لكل أنثى تعاني من عنف الأحرف والكلمات السامة، لكل جنة على الأرض تشعر بأنّ هذه الأيام تميلها.

لكِ أغزل هذه الكلمات، وأسطرها بأحرف تنسج القوة في نفسكِ، والثبات في قلبكِ، والحياة في روحكِ.

أنتِ خلقتِ لتكوني فعّالة، فلا تتوقفي!

فاطمة بسّام بيطار

يا بائع الورد ماذا تفعل بنا؟

أتبيعنا حبًا معلقًا على الأوراقِ؟

لا غدوت ولا غدت شمسك

تصبح، حتى تعيد لنا كل ساقِ.

أسماء عماد الأشرف

سرقت معطف أبي

لقد كان هذا الشتاء مليء باللفحات الباردة التي لم تستطع مدفأة بيتنا الصغيرة إدراكها، بقي البرد يتراقص بين ضلوعي وكأنه يبحث عن مسكن له بين العروق والدم، لم أتخلَّ عن محاولاتي الفاشلة في الحصول على الدفءِ، أسعفتني ذاكرتي المشوشة بتذكر معطف أبي؛ الذي كان كلما اقترب الشتاء أخرجه ولبسه وهو يقول: معطفي السحري لا يهزمه الشتاء!

أخذني طمعي للحصول على هذا المعطف السحري، تسللت إلى غرفة أبي وأخذت أبحث عن هذا المعطف، وأنا أتمايل يمينًا ويسارًا خوفًا من أن يستيقظ أبي! وجدت المعطف وذهبت به إلى غرفتي والسعادة تغمر قلبي؛ لأنني في النهاية حصلت على هذا المعطف الذهبي، ولن يستطيع الشتاء أن ينال مني، لبست المعطف وبدأت أنتظر ألا أشعر بلفحات الشتاء القاسية ولكن لم يحدث شيئ! ولم يهدأ عقلي من التفكير فأنا لم أعتد الكذب من أبي، كنت دائمًا أظنه أصدق إنسان على الأرض، أعدت المعطف إلى مكانه؛ إذ لم أشعر بفائدة كبرى منه! ثم عدت إلى سريري وأنا أعلن انهزامي في محاربة اللفحات الباردة.

شـعرت بخطـوات أحـدهم يـدخل غـرفتي، نظـرت بطـرف عيـني وإذ بـه أبي، فلعبـت دور الممثـل المحـترف وأظهـرت أنـني نائمـة، فـإذا بـه يضـع يـده الدافئـة عـلى رأسي ثـم ذهـب، وعـاد بعـد لحظـات وهـو يحمـل المعطـف السـحري، ثـم وضـعه عـلى جسـدي المـرتعش مـن الـبرد وهـو يهمـس: "سـوف تشـعرين بالدفء يا ابنتي فهذا هدية من والدتك".

بعـد خـروج أبي بـدأت أفكـر بكلامـه، وبعـد قليـل شـعرت أن معطـف أبي قـد انتصرـ فعـلًا عـلى الـبرد! وشـعرت بـدفء غـامر بعـد هـذا، فعلمـت أن مـا يـدفئنا هـو الحـب ولا وجـود للأقمشـة السحرية.

أسماء عماد الأشرف

ثق أن كلَّ دقيقةٍ تقتربُ فيها من الله

سَتُصلِحُ حالكَ لأعوام كثيرة قادمة.

شهد ياسر البيراوي

سيستجيب

الساعةُ الثالثةُ فجرًا

هدوءٌ يخيّم على المكان

غرفةٌ مظلمة وأنا

أفكـارٌ مزدحمـة، وخيـالاتٌ مخيفـة، ذكريـاتٌ تجعلـني أبتسـمُ تـارةً وأبكي تارةً أخرى.

متاهـةٌ لا مخـرج لهـا، أدورُ في المكـان نفسـه، لا أعلـمُ أيـن النهايـة، ولكـن عـلى مـا يبـدو لي أن نهايـة قصـتي الوحيـدة هي نهـايتي، وهذه هي الحقيقةُ الوحيدة.

أفكـر بكـلِّ مـا أنـا عليـه، أجـدُ أن كـلّ الأشـياء تتسـاقط مـني؛ خصـلاتُ شـعري ورُمـوشي، أيـامي وأحـلامي، وأردّدُ داخـلي: لا حـل يحل محل الحل الحالي!

يبدو أن طريقي طويل وأنني ما زلت في بدايته، ما أنا متأكدةٌ منه هو أن الطريق مليء بالمطبات، العثرات، والحفر.

مللتُ التفكير؛ فهمَمتُ لإشعالِ المذياع وكانَ أول ما سمعتهُ أذناي: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} من سورة الأنبياء (88).

سرحتُ قليلًا وتأملتُ الآية، فقادتني نفسي لأفترشَ سجادتي، وفي كلِّ سجدةٍ كانت دموعي تنهمرُ وسطَ فيضٍ من الدعاء؛ فكان قلبي مليءٌ بيقين الإجابة.

شعرتُ وكأنّ صدري قد أُثلج، فكيفَ لا أرتاح وأنا في حضرةِ الله تعالى، كيف لا أشعرُ بالرضى وأنا متأكدة من الإجابة؛ حاشاهُ أن يردَ عبدًا باليقينِ ناجاه.

كلُّ الملاجئ دون الله واهنة، كلُّ الأيام من دونِ الله مرعبة، كلُّ الأحلام من دونِ الله زائفة، وكلُّ الطرق من دونِ الله متعبة.

سيستجيب ولو بعد حين، عليك فقط أن تثق بالله.

شهد ياسر البيراوي

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبدًا لأول منزل.

آية أحمد حسن

أين بيتي؟

فتاة في منتصف العقد الثاني من عمرها بشوشة الوجه وكتومة، ذات ودٍ كبير لأحبائها، ما اعتادت أن تجرح أحد، بل كانت الجراح تأتيها كأنها بركان ثائر ورغم أنها لا تنوح كان وجهها يُبدي ما تُخفيه نفسها ويكنهُ فؤادها.

إنها فرحة أبويها الأولى وابنتهم المدللة مهما كبرت، لكنها كبرت وخط الشيب رأسها في العشرينيات من عمرها.

تلك الفتاة يا عزيزي لا تُريد سوى أن تطمئن وتأنس، ليس لديها صديق واحد تقول أنها ظفرت به! دائمًا ما تشعر أنها لا تُرى، لا يشعر بها أحد وهذا ليس استهزاء بما يُقدم لها من يد عون بل لأنها تشعر أن الراسيات بين أضلُعها لا حراك لهم!

أحيانًا ترى أن لا مكان لها هُنا، لكنها لا تعلم أين! ولم تبحث يومًا عن بيتها رغم مرارة ما تمر به، رغم إحساسها بالوحشة والظمأ لم تركض لترتوي من أي مشرب! لأنها تعلم أنّ لا شيء سيروي ظمأ فؤادها سوى أن تجد بيتها.

ذلك البيت هو الأمان الذي يود بهِ كائن من كان، فهو الطمأنينة التي تُكلف المرء حياته ليشعر بها في النهاية، هو الدفء عندما يزور الدُنيا شتاء قارص، البيت هو أن ننام ونحن آمنون.

لكنها فتاة عاشت في مشرق الأرض ومغربه ومازلت تائهه حائرة تردد: لا شيء كبيت المرء لكنني لم أجد بيتي!!

آية أحمد حسن

اقرأ كي تتنفس الحياة

اقرأ لتشرق شمسك وتنير دنياك

اقرأ لتكن عظيما بكل شيء

اقرأ فالقراءة حق علينا جميعًا.

نسرين محمد مكي النعمان

غفلة

الغفلة هي فعلٌ منتشرٌ للغاية في زماننا هذا، الغفلة عن الكثير من الأشياء التي نهانا عنها ديننا الحنيف، الغفلة عن الأمور الأساسية والتركيز على سفاسف الأمور وصغائرها، فعندما نجرح بعض ونتكبر ونغضب، ونتعامل بالضغينة والحقد نغفل عن أساس وعَمُود من أهم وأوثق أعمدة الدين؛ ألا وهو الأخلاق، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا)، فهو الذي بُعث إلينا ليُتمم مكارم الأخلاق، هذا الهدف وهذا ما كان ينتظره من أمته! فهل أمته اليوم يضعون نصب أعينهم هذا الهدف السامي؟

وعندما يتقدم شاب لخطبة فتاة في وقتنا الحاضر نغفل عن أهم خصلة في الرجل؛ وهي العقل والدين، ونسعى خلف المظاهر والأمور الدنيوية، دون أن نفكر بالعواقب ودون أن نفكر بأحاديث الرسول الكريم بخصوص هذا الموضوع، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"، فقد حدد عليه الصلاة والسلام خصلتين من أهم الخُصل التي من صالح المرأة وستأمن لها الراحة والطمأنينة في زواجها عندما يكون الزوج حسن الخلق والدين، هذا هو المراد لها في دنياها وآخرتها وهذا هو السعد لها ولأولادها.

وعندما نغتاب أحدهم وننم للآخرين، ونكذب ونتلاعب نغفل عن عاقبة هذه الأفعال عند الله تعالى! فلنتذكر حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي تهتز له القلوب والعقول، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّه قال: "مرَّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: إنَّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثُمَّ قال: بلى، أما أحدهما: فكان يسعى بالنَّمِيمَة، وأما الآخر: فكان لا يستتر من بوله، قال: ثُمَّ أخذ عودًا رطبًا، فكسره باثنتين، ثُمَّ غرز كل واحد منهما على قبر، ثُمَّ قال: لعله يُخفف عنهما مالم ييبسا" ومع كل هذه الغفلة التي نحن بصددها تجد الناس غافلون عن أهم ما جاء به الإسلام ويحذرون من الاستماع للأغاني وعدم لبس القفاذ عند الخروج من المنزل، ويحذرون من حرمة وضع مساحيق التجميل، والكثير من الأمور الصُغرى التي تعتبر مكملة للدين، فوالله لا أرى إلا غفلة بعد غفلة، ولا علم إلا تكلل بجهلٍ مدقع.

في نهاية الأمر أسأل الله أن يبعد عنا الغفلة وأن ينير لنا العقول والقلوب، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا ويكرّه لقلوبنا الفسق والفجور والعصيان ويجعلنا من الصالحين.

نسرين محمد مكي النعمان

أنتَ كلٌّ شيء

ويستمدُ الجمالُ منكَ ملامحه

فلا تستهن بقدراتك.

خلود عبد الصمد أحمد

مميزٌ أنت

بطريقةٍ بشرية، أو نحوية، أو حتَّى صرفية، أنتَ لا شبيهَ لكَ.

مميزٌ أنتَ

كفاعلٍ عُيّن عمدةً على باقي المرفوعات

كممنوعٍ من الصَّرفِ غُيرت لأجلهِ الحركات

كياءِ النَّداءِ الَّتي تُحذف أو تُذكر كما شاءت؛ لأنَّها أهم الأدوات.

استثنائي أنتَ

كميزانٍ صرفي يحملُ أوزانًا ثقيلة ولا يَشْكُ

لا يصيبكَ اعتلالٌ ولا إبدالٌ، ولا تبكِ، يتغنى بكَ السَّعيد، والحامد بكلِّ صدقِ.

فالواو إن اقترنت بأحوالكَ ما فارقتها، والباءُ إن سكنتَ نفسكَ ما كسرتها، والفاءُ إن أحبتكَ ما اشترطت عليكَ شروطًا حتَّى تجاوبها.

أنتَ للنَّحو جملتهُ، وللصَّرفِ كلمتهُ، وللعربي قريحتهُ.

فكيفَ لا يُغنى بكَ بحروفٍ ذهبية، وتشيمُ لأجلكَ قواعد حتمية.

ظلـكَ يـأبى الاضـمحلالَ إن رافقـكَ، وقلبـكَ يغـارُ عليـكَ مـن كـمِّ المُحبـين، يـا سـيدي أنـتَ تصـنعَ الفـارقَ ولا تعلـم، فكيـفَ لا تكون مميزًا في عالمٍ أشبه بالجحيم المؤقت؟

يعشقُ النَّحو إعرابكَ، والصَّرف تحليلكَ؛ لأنَّ في إعرابكَ تتجلى عروبة لو غُرست في نفسِ كلِّ شخصٍ لأصبحنا أفضل أمة، وفي تحليلكَ يظهر نقاء مستمدٌّ، ومقتبسٌ من عبقِ الملائكة.

خلود عبد الصمد أحمد

حَزينة، مُشرِقة، مِثل الشَّمعة..

تَرى الانكسارُ بِعينيّها إِن تَأملتهُم، صلابة قَلبِها،

كِبرياء دِماغِها، وَمع كل هَذا؛ هِيَ هُنا وَلَها أَثَر،

وَسيَظهر مِن عتمَتِها قَمر، ولكن ما لا يعرفونَهُ بَعد

أَنّ داخِل تِلكَ الشَّمعة ظَلام قَد احتَرق.

إيناس عامر فَهد

روح قلبي

أمي ملاذي، أمي دوائي، أمي حياتي، أمي راحتي، أمي أمني وأماني، طمأنينتي وسكينتي، حبي وروحي، لا أزال طفلتها رغم سنِّي، لا تزال تحتويني بأضلعها رغم عمري، هي الملجأ الآمن والدافئ الذي أرتمي إليه كلما اختنقت، هي صديقتي وأختي، هي كل شيء يعنيني في هذه الحياة التي لا طعم لها أو لون بدونها، صوتها وهي ترتل القرآن على مسامعي لا يفارقني، خشوعها في دعائها الذي أحب أن أسمعه كل يوم، فتحب أن تملأ قلبها برضى الله وأحب أن أملأ أنا قلبي برضى الله ورضاها، غير أنها تكون بجانبي على الدوام في الضرّاء قبل السراء، إلا أنني أحظى بدوائين دائمًا؛ كلام الله بتلاوتها الخاشعة على مسامعي، ورعايتها فدائمًا ما تُمسك بيدي لتشعرني بشيء لا يمكن وصفه.. راحة، أمل، رضى وحب.

أحمـد الله وأشـكره ألـف مـرة؛ لأنـني حظيـت بـأم لا مثيـل لهـا في هـذه الـدنيا، هي القويـة أضـعها تاجًـا عـلى رأسي، هي الحيـاة فـلا يوجـد بعـدها نجـاة، لا تَـفي أنـواع الـورود بالانحنـاء أمامهـا، فـاجعلوا مـن الياسـمين و الفـل طوقًـا يُـزيّن عُنقهـا، لِـتَرُد الـروح لِلروحِ، فنحنُ موتى وهي طوق الحَياة ذاتِه.

هي معنى الحياة، قلبها كَبياضِ اللؤلؤ، سَوادُ قُلوب الناس أكل مِنها وَقلبها، ولكنها رغم الوجع تظل صامتة، تعلم أن العالم مليء بالمخاوف، فَتستَطيع أن تكون الأمان لي، ولكل من يحبها، ترسمُ ببساطتها ضحكاتٍ على وجهها، وكأنها ارتَسَمت على قَلبي.

تُحاور نفسها شاكرةً الله بأنه أهدَاها تِلكَ الرُوح القويّة، التي لَولاها لَما استطاعَت أن تُكمِل أيّامها بِسلام، كَما تُحِب.

مُجرَّد السَّلام.

إيناس عامر فهد

إليك أكتب كلماتي العليلة؛ التي كلما أرادت أن تتخذ علاجًا كان كالسقم يزيدها علة ومرارة، أدوّن آخر ما سأكتبه عنك؛ حتى أعلّقها جانب خيباتي المتعددة، جانب خساراتي المختلفة، جانب ذكرياتي التي لا تكتمل.

دائمًا ما كنت أنتظر رقعة الشطرنج التي تؤدي إلى فوزي وتألّقي، ولكني لم أستطع إيجادها أو امتلاكها، من هنا أيقنت أن ليس كل ما تراه عيناك يمكن أن يصبح ملكًا بين يديك.

أحمد مصطفى محمد

عبثيّات سوداء

ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا

فيا رباه أصبحت دون ابنتي عبدًا شقيًّا

وهن على وهن

أرق على أرق

كارثة تليها أخرى

أيٌّ فؤاد هذا حتى يتكفّله

لحظات سعادة تعدّ على الأصابع

وليت جميعها بالوجود، بل أكثرها ضائع!

تبدأ قصّتي حيثما أقف

بعدما سُعدت بابنتي

ذريّتي

فقد عدت لأيام الجاهلية بفعلتي

أطعمتها الموت بلطف

وألقيت على جسدها الثرى بالدمع!

كيف أنظر إلى أعين الناس؟

ظللت في شقْوَتي

أشعر أنه قد قيل لي ألّا مساس بعد هذه الليلة!

سأقتصر في حديثي

فلن يفيد الرثاء بعد الوفاة

هلّا أجدكم تستمعون؟

في طريقي إلى جامعة ابنتي بعدما طال انتظارها لحلمها

حان وقت بُعْدها

فلما جهّزتها بجهازها

ورحلت إلى حياتها

فقدت سرّة طعامها بجانبي

برفق ناديْتها:

أتقصدين نسيانها؟

وفطران قلبي بعدما أعددتها؟

تالله يا أبتي!

تالله يا أبتي من لهفة اشتياقي!

عشر خطوات بيني وبينها، تأتيني وتقف في طريقها

سكون تام، اصطدام حاد

لم أرَ ابنتي إلا وهي غارقة في دمائها!

ليتني ما سألتها العودة!

من ينزع الهم بَعدك؟

أخبرتك أنني لا أستطيع تحمل بُعدك أهذا جزاء صراحتي؟

أم قدر جاء على غير إرادتي؟

لو أني، لو أني!

لو أني ما ناديتها؛ لم أكن لأرى بعيني وفاتها!

أعيدوا ابنتي.. أعيدوا ابنتي

وكعادتي؛ لم ينصفني القدر في نصيبي من سعادتي!

أحمد مصطفى محمد

سوف أفتح لكم قلبي؛

لذا دعوا لساني يتحدث بحرية!

عرفات حمود العنزي

لساني يتحدث

نتوه بعض الأحيان بدوامة الأفكار، فلا نستطيع أخذ القرارات الصحيحة وكيف نسيطر على ما نفكر فيه! فكيف نستطيع توقف عن التفكير للأبد؟؟

هل هذه حياتنا، مغامراتنا، وخياراتنا، هل هذي قراراتنا؟ لماذا نعيش لهم ولا نعيش لنا، لماذا نحن المخطئين، لماذا لا نستطيع التحرر، لماذا نحن الظل لهم، ولماذا هم من يتكلمون مكاننا؟ هل لأننا فتيات أم لأنني صغيرة ولا أستطيع اتخاذ قراراتي، لماذا أمشي. خلفهم، لماذا لا أستطيع التكلم معهم،و لماذا ما أفعله دائمًا خاطئ؟ هل الخطأ مني فعلًا أم أنني لا أفكر مثلهم، لماذا أشعر أن الخوف يلازمني في كل وقت؟ لماذا لا أستطيع المحاولة؟ أريد فقط محاوله واحدة، قفوا خلفي شجعوني، لكن كيف أخرج إلى العالم هكذا!!

أنا هنا لماذا لا تبحثون عني، أخرجوني من هنا لا أستطيع رؤيتكم أرجوكم سامحوني لست أنا ولكن هذا أنتم، نعم أنتم من دفنتم أحلامي لم لا تسمعوني! دعوني أتكلم بلا خوف أنا قوية لا تدفعوني إلى الداخل أريد الخروج والمحاولة، لماذا أصبحت المحاولة خطأ ومحرمة في زمننا؟ لماذا يختلف زمانكم عن زماننا؟ لماذا تقيدون تفكيركم بكيفية دفعنا بعيدًا عن المجتمع؟

لمـاذا لا تفكـرون بكيفيـة مواجهـة المجتمـع معًـا، يـدًا بيـد! لمـاذا في كل خطوة نخطوها تعيدوننا إلى نقطة الصفر؟

هنـاك الكثـير مـن الطـرق تـدعنا نـدخل المجتمـع مـن نـواحي كثـيرة دون علمكـم، ويمكننــا التظــاهر بغــير ذلــك! دعونــا نكــون معكــم دعونا نصنع ابتسامة جديدة معًا!

وأنــا أكتــب هــذه المشــاعر أيضًــا لا تــزال أفكـاركم تقيّـدني! فهــل سأستطيع إرسالها ومواجهه من حولي؟

عرفات حمود العنزي

فَلتَنامي أيتها المشاعِر ، نامي ولا تَستَيقِظي فكُلٌّ مِن حَولك صامِت؛ الحياةُ صامِتة، والأشياءُ جامِدة، والمَعاني في سُويداءِ القَلبِ تالِفَة، فاشغَلي تِلكَ الروحَ بِرَكعَةِ نافِلة، بِسَجْدَةٍ في ظُلمَةِ الليلِ خاشِعة، بِدَعوَةٍ من ذلك القَلْبِ المُغطى بالأسى فأينَ المَفَر؟

قاسم غزال

الذكريات بين السكون والانفجار

هَل سألتَ نَفسَكَ يومًا ما معنى أن يتشبّث الإنسان بشظايا أحلامِهِ وذكرياته؟ لماذا لا يرميها خَلْفَهُ وحسب، يرميها بِحُلوِها ومُرِّها ويبدأ بتَكوين غيرها!! هل يَخشى فواتَ الأوان؟ أم أنَّ قوانينَ الحياةِ قَدْ حَكَمَت عليهِ أن يَظَلَّ أسيرَ مَنسوجَة أحلامٍ خَلفَ قُضبانِ ذِكرَياتِهِ؟

ما الفائِدة مِن إعادة السيناريو نَفسه أكثَرَ مِن مرّة بنفس المُمَثِّلين والأدوارِ؟ هَل تَظُنُّ أنَّ الدنيا سَتُقَدِّمُ لك السعادَةَ على طبقٍ مِن ذَهَب؟ كلّا ورَبِّ الفَلَق! فالحياةُ كَدَرٌ وشَقاء، والأمانيُّ والأحلامُ جُلُّها أَلَمٌ واستِياء، لَستُ أطلبُ منكَ ألا تَحْلم، أو ألّا تُحاوِل، ولكِن! لا تُمضي حياتَكَ وأنتَ تَبْكي على اللبن المسكوبِ؛ فالحياةُ تَمضي والقافِلَةُ تَسيرُ، وأنتَ بالخَيار!

فَهَل ستَتْرُك رَكبَ الحياةِ يَمضي بينما تُلاحِقُ أذيالَ ذِكرياتٍ جرَّعَتْكَ غَصَصَ الحياةِ المريرة؟

قاسم غزال

الفصل الثاني:

مجموعة من القصص القصيرة

حتى وإن ذهب النور من أعيننا،

فربُ النورِ موجود.

رزان ثائر عودة

يُوْسف

الخامس عشر من شباط عام 1966.

أبو نظمي على عجلةٍ وتوتر يجري لسماعةِ الهاتف: ألو!

أمُّ فؤاد: أهلًا عم مرزوق!

أبو نظمي: تعالي بسرعةٍ الآن إلى بيتنا فزوجةُ يوسف تستنجد!

أمُّ فؤاد: حالًا!

ارتدت أمُّ فؤاد عباءتها بسرعةٍ فائقة ووضعت حجابَ رأسها دونَ أن تنظر إلى المرآة، وأخذت حقيبتها الطبية، وركضت إلى حارةِ بيت أبو نظمي وتعجبت من نشاطها السريع رغم سنها الكبير!

وصلت إلى بيتِ أبو نظمي وقبل أن تطرقَ الباب فتح لها، وكأنهُ يتنصتُ لخطواتها على بعدِ مئةِ متر!

قال لها: اذهبي إلى اليسار وستجدين الغرفة، فلا يسمحُ لي بالدخول، ففهمت منهُ بأنَّ زوجة يوسف ستنجب.

دخلت أمُّ فؤاد إلى غرفةِ زوجتهِ ووجدت جيران الحارة وأقارب يوسف وفاطمة، وتفاجأت من التجمع، وقالت بينها وبين نفسها: إنها حالةُ ولادة وليس حفل زفاف! فطلبت منهنَ أن يحضرنَ غطاءً ووعاءً كبيرًا

مملوءًا بالمياهِ بسرعةٍ قصوى، وكان يوسف وأباه في تلك اللحظة يناجونَ اللهِ بمشاعر قلقة على حالِ فاطمة، وضعت الغطاء على فاطمة والوعاء بالقربِ من قدميّ فاطمة، وسمّت باللهِ بهدوء وقالت لفاطمة: هدئي من روعكِ عزيزتي، ومن ثمَّ قالت للنساء: قمنّ بالعدِ معي، 1.. 2.. 3، أتى الطفل! وعلت الزغاريد مع صراخِ الطفل، وبدأنَ النساء بغناءِ الأغاني الشعبيةِ الخاصةِ بالولادة، فطربَ قلبُ يوسف وخرجت أمُّ فؤاد بالطفل لتريهِ إياه، وهمس بلطفٍ في أذنهِ بآياتٍ من سورةِ الفلق، ولم يفارق لسانهُ الحمد هو وأباه، وأيهدأ أحد بمناسبةٍ تجتاحها السعادة؟ فذهب مسرعًا إلى اللحامِ وطلب منهُ أن يجلب خروفًا لذبحهِ لهذه المناسبة السعيدة.

وبعد لحظاتٍ من الفرح، طُرِق الباب بطرقاتٍ قوية لدرجةِ أن من يسمعها يظنُ أنَّ أحدًا ما يريدُ كسر الباب!

فتح يُوْسف الباب، وتسمّر في مكانهِ من هولِ المنظر؛ فوجد أمامهُ رجال الشرطة، قالوا له: تفضل معنا يا حضرةَ العميد.

يوسف: لا يمكنني القدوم الآن، فزوجتي أنجبت منذُ لحظات، ولا أستطيعُ تركها وحدها!

الشرطة: نعتذرُ منك، ولكن كما تعلم هذا أمرٌ من الضابط.

يوسف: انتظروني لحظةً واحدة.

لم يكن أحد في هذا الزحِام منتبه لما حدث، حتى والدتهُ الحذرة من كلِّ صغيرةٍ وكبيرة لم تنتبه، فالمناسبات السعيدة تُشغِل جميع الحواس!

ذهب يوسف لوالدتهِ وقال لها: أمي، أريدُ الذهاب إلى الحلواني لأجلبَ بعض الحلويات، لن أتأخر!

قالت لهُ: لا داعي! لأنني سأقومُ والنساء بإعدادِ الكراوية.

اضطُرَ يوسف أن يكذب على والدتهِ كي لا يُحدث ضجةً يعمُّ بها الخوفُ والحزن؛ فقال لها: ستأخذُ وقتًا والوقت لا يهدأ بعقاربهِ، لن أتأخر، مع السلامة، وذهب مع رجال الشرطة.

وصلوا القسم، وعقل يوسف مزدحمٌ طوال الطريق بالتساؤلِ والتعجب، أدخلهُ الشرطي إلى مكتبِ الضابط.

الضابط: أهلًا يا يوسف! تفضل بالجلوس عزيزي.

يوسف: أهلًا بك حضرة الضابط، شكرًا لك.

الضابط كان فطنًا، فهو يجيدُ قراءة لغة الجسدِ؛ فقال لهُ: بدايةً، أريدُ منكَ أن تهدأ قليلًا، وتركزَ معي، لأنني سأخوضُ معك بنقاشٍ تفاصيلهُ يملأهُ التحقيق.

يوسف: حاضر، تفضل.

الضابط: أعلمُ أنك صديقٌ عزيزٌ، ولكن القانون قانون! وتعلمنا هذا المبدأ سويًا.

يوسف: بالطبع! حتى لو كنتُ مخطئًا فلكَ الحقُ أن تعاقبني كيفما تشاء أنت والقضاء.

الضابط: والأهمُ من ذلك أنني أثقُ بكَ وأودُ سماعَ الصدق منك كما اعتدت.

يوسف: سترى كلَّ صراحةٍ صادقةٍ مني!

الضابط: حسنًا، هل العملُ الخيري يجعلنا نسرق؟

أجابه يوسف مندهشًا من سؤالهِ: لم أفهم!

الضابط: هل الإنسان ينسى ما قامَ بهِ؟

يوسف: لا! ولكن وضح لي.

الضابط: لا بأس، أنا فهمتُ ما تخفيه نواياك، ولكن يا صديقي، من يودُّ عمل الخير لفكِ كربةٍ ما، لا يجبُ أن يلقي بنفسهِ إلى هاويةٍ مجهولة!

يوسف مسترجعًا اللحظات: أتقصد الصدقات؟

الضابط: نعم، هذا ما أقصدهُ تمامًا.

يوسف: لكنني لم أسرق شيئًا، فكلُّ ما قدمته بطريقةٍ مشروعة!

الضابط: على ماذا اتفقنا من البداية؟

يوسف: الصدق، وأنا صادق.

الضابط: يؤسفني جدًا أن أقولَ لك هذا الكلام، ولكن الكذب سيجعل الخيوط معقدة، فهل من المحبب أن أتصرف تصرفًا لا يليقُ بك؟

يوسف: بالطبعِ لا!

الضابط: إذن ادلو بدلوكَ بالتفاصيل..

شرح يوسف لصديقه الضابط وقال: بصراحةٍ يا صديقي، كانت صدقاتي تلك للفدائيين، وكانت حالتي ضيقة ومتراكمة بين عملٍ ومتابعة حالة الولادة مع زوجتي، وكنتُ أهمُّ بالبحثِ عن جمعيات خيرية، ولكن لم يرتح قلبي لهم، فكان هناك صدى يأتي من بعيد يحيطُ قلبي بتمتماتٍ متكررة، وكانت تقول: لا تثق بهم! ولم أيأس! بل سألتُ أقاربي، جيراني وإخوتي، منهم من اعتذر ومنهم من وعدَ وأخلف، فتلاشى أسفي على أُناسٍ ظننتهم أهلًا للخير، ولكنهم أصلٌ للخيباتِ ودليلٌ للخذلان! ولم أفكرُ بالتسرعِ للحظة؛ فكانت الحيرة هي التي تبطئُ خطواتي، وتعيدُني إلى محطةِ التفكير، ولا أعلم إن كان الشيطان قد لعب بي، أو نية لم تأبه للعواقب، أو خطوة لا تهاب الموت؛ فعندما ازداد الوضعُ سوءًا وتفاقمَ الخطرُ عليهم، لوجودهم في صحراء قاحلة تكسوها أشعةُ الشمس البنفسجية، دمر قلبي المرهف وعيناي لم يرَ جفنها النوم؛ إذ كلما تهمُّ للإغلاق، يقومُ عقلي

بتوسيعِ ثناياه أكثر للتفكير. وفي اليوم التالي، قمتُ بتصرف غير مقبول للقضاء، ولكنهُ مقبولٌ عند الله وفرجٌ للمنكوبين؛ لم يستطع قلبي تحمل رؤية تلك المشاهد أكثر! وهذه قصةُ موقفي بكلِّ صراحة، فاحكمني أنت والقضاء كيفما شئتم.

الضابط: أثرّت بي فعلًا، ولامست قلبي، فبالفعل يا يوسف أنت خيرُ صديق، ولأنني رأيتُ منك منبعًا من الأخلاق الطيبة، سأجعلك تعودُ إلى بيتكَ لتكمل مناسبتك السعيدة، ومباركٌ لكَ!

يوسف: أشكرك من قلبي يا صديقي العزيز.

الضابط: لا شكرَ على واجب، ولكن أتمنى ألا يتربع الحقدُ في قلبكَ عليَّ، وأعدك بأنني سأحاول.

يوسف: قلتُ لك يا صديقي، أنت والقضاء لكما حق الحكمِ علي، فصحيحٌ أن لي شأنٌ كبيرٌ هنا؛ ولكن كما يطبق القانون على البقية يجب أن يُطبق عليَّ أيضًا بالإجراء المناسب.

الضابط: لا تقلق يا صديقي، بإمكانك الانصراف الآن.

يوسف: إلى اللقاء.

عادَ يوسف إلى بيتهِ حاملًا معهُ أصنافًا من الحلويات المتنوعة، ورغم ازدحام أفكاره ومشاعره، لم ينسَ ما قالهُ لوالدتهِ.

أم نظمي: لقد تأخرت!

يوسف: كانت الشوارع مكتظة، أنا آسف.

أم نظمي: لا بأس، شكرًا لكَ يا ولدي .

مرت الساعات، وحلَّ الظلام، ويوسف لم يستطع النوم، والأرق غلبهُ من كلِّ جهة، وشعر بوصول الشرطة في أي لحظة، وبالفعل في الساعةِ 2:00 بعد منتصفِ الليل، طُرِق الباب بقوة بنفس القوة تلك، وخطواتهُ المهرولة نحو الباب كانت تعرفُ تمامًا من يطرقها، أيقظت الجميع تلك الطرقات وجعلت الرضيع يبكي خوفًا، فتح يوسف الباب، وقال للشرطي: أنا قادمٌ معكم، أعلمُ بكلِّ شيء.

قبل أن يخرجَ يوسف معهم، قال لعائلتهِ الصغيرة: لدي مهمة ولن أطيل الغياب، مع السلامة! ومن سرعةِ اللحظة لم تكن هناك فرصة لهم للوادع؛ فهم يظنون بأنه سيعود بعد صلاةِ الفجر، ولكنه سيعود بعد عشر سنواتٍ بالتمّام والكمال.

وصل يوسف إلى مركزِ الشرطة، وقابل الضابط.

الضابط: سامحني يا يوسف، سامحني يا صديقي، بذلتُ وسعي مع القاضي والنقيب، ولكن المحاولات باءت بالفشل، اغفر لي أرجوك، وأعدك أنني سأسعى لإخراجك من هنا بوقتٍ قصير.

يوسف: صديقي العزيز طارق، قلبي يحبك، يكفي أنك استقبلتني بصدرٍ رحب، ويكفيك شرف المحاولةِ، فمحاولاتك تلك لن أنساها، وقلتُ لك سابقًا يا عزيزي بأنَّ الحق حق، والقانون قانون، وأنا أعدك أيضًا حالما أخرج سأستضيفكَ في بيتي على سفرةٍ يملؤها ما لذ وطاب، فأنت تستحق.

الضابط: حفظك الله يا صديقي، في أمانِ الله.

يوسف: انتظر.

الضابط: ماذا؟!

يوسف: أريدُ طلبًا منك.

الضابط: بالطبع تفضل، أنا حاضرٌ لك.

يوسف: قل لعائلتي أنني ذاهبٌ إلى الجولان في مهمة ويجب عليَّ أن أنفذها مهما كانت العواقب، لا أريدهم أن يعلموا أنني بالسجن، وخصوصًا والدتي، وأريدك أن تطلَّ عليهم عندما يكونُ وقتك مناسبًا، وساعدني في إرسال رسائلي إليهم والعكس.

الضابط: حاضر يا صديقي.

مرت عشرُ السنوات، كانت سنواتٌ عجافٌ على يوسف، مليئةٌ باليأسِ والحسرة، وزاوية السجنِ حفظت دموعه، كان كل ليلة يبكي على ما آلم قلبه؛ فتلك الأشهر مرت دونَ أن يرى ابنهُ الأول، وكم كان يتمنى أن يراهُ يكبر أمام عينيه، ويقولُ له: أبي، أنا الآن في الصفِ الأول، انظر إلى حقيبتي، ما رأيك بالزي؟ أريدُ منك مساعدتي في تكاليفي المدرسية، لأنني أعلمُ بأنك نابغٌ كسيبويه في اللغةِ العربية. وكان مترددًا بأن يجعل طارق يبلّغ عائلته ولكنه يتراجع؛ فهو لا يريدُ أن يرى عائلته في ملتقى الزيارة تبكي عليه، بل يريدُ اللقاء بابتسامة وضحكاتٍ تصدحُ في المكان.

يوم الأحد عام 1976، الساعة العاشرة صباحًا.

طارق: الحمد لله على السلامةِ يا صديقي، عودة حميدة بإذنِ الله.

يوسف: شكرًا لك يا صديقي الغالي، وشكري هذا من كلِّ قلبي.

طارق: لا شكر على واجب بين الأصدقاء، أأصطحبك إلى بيتك؟

يوسف: هذا لطفٌ منكَ، أنا متعب فعلًا.

يوسف في السيارة: لم يتغير شيء، الشوارع نفسها، حجارةُ الأرصفة كما هي، المحلات والمتاجر والأزقة تحملُ نفس الناس والازدحامات.

طارق: اشتاقت لك شوارعُ الشامِ يا صديقي.

يوسف: اشتقتُ لعائلتي، خاصةً ثائر.

طارق: دقائق ونصل، ولكن قبل أن نصل دعني أدعوكَ إلى شطيرة (شاورما) على حسابي.

يوسف: لا، دعني أنا أدعوك إلى الوليمة التي وعدتك بها.

طارق: حسنًا، فغداءُ خالتي أم نظمي لا يُفوّت!

وصلت السيارة إلى حارةِ بيته، وبعد نزولهِ من السيارة، وجدَ نفسهُ بدائرةٍ كبيرةٍ من الناس متعجبة من عودتهِ المفاجئة بلا موعدٍ مسبق، وهو أيضًا متفاجئ ومسرور باستقبال الناس له، وكانت الأسئلة تأتي من طفلٍ وشابٍ وعجوز، فطمأنهم وقال لهم: كنتُ بمهمةٍ لأجلكم يا أحبائي! ففرحوا وقاموا بحملهِ على أكتافهم وضجَّت الحارة بزفةٍ وزغاريد، وعائلتهُ تتساءل عن سبب ذلك الضجيج، فاطمة: خالتي، زفاف من اليوم؟

أم نظمي: لا أعلم، دعينا نرى.

ذهبت فاطمة مسرعةً إلى الخارج تاركةً ورائها كمًّا كبيرًا من المواعين؛ فكان قلبها يخبرها إنهُ زوجكِ.

فتحت أم نظمي الباب، وفجأة أتاها صوتٌ من بعيد ينادي عليها: يا حجة جاء ابنك، لم تصدق أذنيها ما سمعت، ومشت بخطواتٍ سريعةٍ وخفيفة، وإذ بها تجدُ يوسف أمامها وتنهال دموع الفرح المختلطةِ بالشوق، وقال أحد الجيران: يا يوسف، والدتك بانتظارك. ركض يوسف إلى حضن والدته كطفلٍ صغير، وضمها إلى صدرهِ ضمةً

قوية كي يستنشق رائحتها التي ظلَّ عبقها في ذاكرتهِ، وقال لها: أمي، أريدُ رؤية ولدي، قالت له: إنهُ رجل البيت في غياب والدك وغيابك! إنه ينتظرك مع فاطمة، فذهب مسرعًا وقبل زوجتهُ قبلة احترام وقال لها: أشكركِ يا سندي.

فاطمة: اشتقتُ لك كثيرًا والعينُ اشتاقت للقياك، وثائر يسألني عنك كل يوم.

يوسف: أين هو؟

فاطمة: أظنهُ نائمًا، تجول في البيت وستجده.

دخل يوسف إلى بيتهِ وتجول في ممرات البيت، ولم يتفاجأ من شيء، فكل ما في البيت بقي على حاله دون زيادةٍ أو نقصان، ودون تشققاتٍ أو إصلاح. وصل إلى غرفتهِ ووجدَ طفلًا نائمًا كالملاك، جميلُ الملامحِ تجدُ جمال روحهِ من عينيه، بشوش الوجهِ لا تعرفُ الدموعِ سبيلًا على وجنتيه، اقترب منهُ يوسف وقام بلمسِ شعرهِ بنعومةٍ واقترب من أذنهِ ورتل بها سورة الفلق بهمسٍ خفيف رقيق كما فعل عندما وُلِد، شعر ثائرٌ بشيءٍ غريب فاستيقظ بهدوء ولم يفزع، وعندما رآه بجانبه، قال له: أنا أعرف من أنت، أنت أبي، أين كنت يا أبي؟ لِمَ تركتني وحيدًا وجعلتني منبوذًا بين أولادِ الجيران وزملائي؟

يوسف: يا ولدي، كيف لي أن أنسى فلذةَ كبدي؟ كنتُ كل يوم أذكر اسمك في ثنايا مناجاتي لله، وقبل الخلودِ إلى النوم أتخيلُ ملامحكَ، وبالفعل أصبتُ الهدف! تعالَ وحدثني عن المدرسة وعن أصدقائك.

وبعد حديثٍ طويل وضحكاتٍ لم تتوقف، وكعادة الأطفال الفضولية، سأل ثائر والدهُ سؤالًا أدهشه؛ فقال: أبي.. أفعلًا المهمات الصعبة تأخذُ عشرَ سنوات ولا يكون للجندي فرصةً للقاءِ عائلته؟

احتار يوسف بالإجابة عن السؤال، ولكن كي يشفي فضوله، قال لهُ: امم، نعم، فهذه المهمة فداء للوطنِ ولروحِ الشعب.

جُبْلَ ثائرٌ على الذكاء، فشعر بأنَّ الإجابة غير شافية، ولكنهُ أظهر عكس ذلك.

يوسف: دعنا نذهب للجلوسِ مع العائلة واليوم أودُّ أن أعرفكَ على صديقٍ عزيزٍ علي.

تبادلوا أطرافَ الأحاديث والضحكات على مائدةِ الغداء، وجلسوا مقابلَ بعضهم البعض في غرفةِ الضيوف وبصحبةِ فناجين من الشاي والقهوةِ وبعض من أنواعِ الحلويات المختلفة. كانت والدتهُ تشعرُ بشيءٍ غريب منذ قدومه، تراودها أحاسيس بأن ولدها يخفي شيئًا ما في عينيه ومتردد في الإفصاحِ عنه، فسألتهُ أمامَ الجميع وهو يحادثُ والده: يوسف، أخبرنا ماذا فعلت بتلك المهمة الشاقة التي أخذت ربعًا من عمرك.

قال يوسف بينهُ وبين نفسه، دعهم يعرفون الحقيقة، فكتمانُ ما يجولُ في خاطرِ عينيّ صعب، فهمَّ لسانُ يوسف بالإفصاحِ عن كلِّ شيءٍ لعائلته أمام طارق، وتحولت أضواءُ الغرفةِ من فرحٍ إلى صدمةِ حزن؛ ورّجت الصدمة كيان زوجتهِ فجعلت الغيوم تتلبدَ في عينيها لتمطر بالدموع والصدمة عقَلَت لسانها من اللومِ والعتاب، وحاجبا والدهِ قد قُطِبْت من الغضب! وكان كيان والدتهِ وابنه ثابتان؛ لأنهما كانا يعلمانِ جيدًا بأنَّ هناك سرٌ مكنون في جوارح يوسف؛ إلا أن رابطة العائلة وصِلْتِها الدافئة فيما بينها جعلتهم يشعرون بالفخرِ بيوسف؛ فهم يرونه قدوة لخدمةِ المحتاجين والمغلوبِ على أمرهم، وثائر لم يشعر بالحرجِ منه إطلاقًا، فأصبح يقولُ لأصدقائهِ في الحارة والمدرسة: أبي رجلٌ مغوار، أبي محبوبُ الفقراء.

مرّت أيام وأسابيع، شهور وسنين محملة بالتفاصيل والأحداث، ويوسف لم يكتفِ بثائر فقط! بل بأخٍ له يشاركهُ لعب كرة القدم، وفتاتين يشاركنهُ حلاوة الحنان واللطف.

وكبر يوسف وكبرت معهُ أحلامهُ وطموحاته، وكانت هديتهُ من الله بعد كلِّ العناء الذي مرَّ على قلبهِ من سجنٍ ووفاة والديه – رحمهم الله – أحفاد من شتى الألوان، فذلك أبيض وخصلاتِ شعرهِ ذهبية لامعة، وتلك حنطيةٌ ملمعٌ شعرها بالبنِ القاتم، وأولئك لونٌ واحد، وتلك فريدةٌ من نوعها، بيضاءُ الملامحِ والقلب وشعرها مثمرٌ

بالبرتقال، ولها وجنتانِ موردتانِ بعبقِ النمش، ولهذه الحفيدة مكانةٌ خاصة في قلبهِ.

عام 2017، قبلها بستِ سنوات كان يوسف حبيسًا للغربةِ عن أولاده وأحفاده، وتلك الغربة أحاطتهُ بالحزنِ والشوق المؤلم، فحدودُ المسافات أتعبته، والتعب لا يجلبُ إلّا العلل، فأصيبت حدقة عينهِ وضَعُفت رؤيته، ولكنهُ آمن بنورِ الله الذي لا ينقطع، وتمسكَ به مع أمل اللقاء.

بعد مرورِ عامٍ ونصف، التقت الأعين وعاد الدفءُ من جديد، وتحقق أملُ يوسف وأبصرَ قليلًا بعدما تجمع الأحباب حول مائدةِ يوسف.

وإلى الآن يوسف حيٌّ يُرزق وسيطهُ يُحمد من كلِّ حدبٍ وصوب، وعمرهُ مازال يجري، وصحتهُ أقوى من أوليمبي، ولكن قدرهُ أن يصارع الصعاب مع حدقتهِ.

رزان ثائر عودة

تجارب الأمس صفحات يطويها وعي اليوم،

أحاسيسك سابقًا مرفوضة من أعماقك الآن،

حاول أن تتعلم من تجاربك بالأمس لتنعم بأيامك بالغد.

نور الهدى ياسين عويضة

بصائر الأفئدة

أسود هو بلا مشاعر، يمتص ألوان الحياة، ليظهر أسوء ما فيها، لم يكن ذلك شعورًا عابرًا على أرصفة القلب، بل كان شعوري حقيقيًا بعد تلك الفاجعة التي حلت على قدري، بعد صمت بدأت بسماع أصوات ألفت سماعها، يخترق هذا الضجيج صرخات مدوية: لقد استيقظ المريض.

بدأت أشعر بجسدي قليلًا، شيء ما يتدفق بكامل جسدي، لأشعر بعدها بمدى التعب والألم الذي أضحى بهذا الجسد، أنا الآن أشعر بكل ما حولي لكن إلى الآن لم أرى أحدًا، أين الجميع بدأ القلق يتسرب إلى أطرافي، بدأت أنتظر رؤية نور يشق عتمتي، ومازلت أنتظر رؤية أمي وأبي، صاح صوت بقربي قائلًا: كيف حالك؟

مهلًا! هل ما أشعر به حقيقيٌ؟ أليس هذا حلم؟ أين أنتم إذًا؟ أين الجميع؟ عاد الصوت من جديد: هل ترى شيئًا الآن؟ لا لا أرى، لمَ لا أرى؟ تسلل الهلع لقلبي وبدأت أصرخ، أردت البكاء في الحقيقة، أحسست وكأنني بمتاهة مظلمة، بدأت استغيث من حولي، لمَ الحياة مظلمة؟ شعرت فجأة بتلك اليد وكأنها أمسكت قلبي لا يدي، أخذت تهوّن علي، لأشعرَ بعدها بحرارة دموعها التي تتساقط على يدي لتزيل إدعائها بالقوة، بدأت تجمع شتات روحي وتعيدني لرشدي، آهٍ يا أمي ما الذي حل بي؟ عاد ذلك الصوت الغريب قائلًا: لا تخف نحن

بجوارك يبدو أنها نتيجة الاصطدام القوي، ولكن بإذن الله ستستعيد نظرك تدريجيًا بالعلاج، واستمر قائلًا: لقد كنت في غيبوبة مدة ستة وعشرين يومًا بعد حادث سيارة.

آخر ما ارتسم في ذهني كان الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء، ذلك اليوم المشؤوم؛ أثناء عودتي من العمل حل الظلام على حياتي بكل ما فيها.

خرج الجميع من الغرفه لكي أرتاح، بدأت أدرك حجم المصيبة التي حلت بي، هذا السواد الذي خيّم على بصري، هدوء مخيف في أرجاء الغرفه، أصوات دقات قلبي أصابني بالصداع، أصوات الرياح الآتية من النافذة التي يتأرجح بابها ليرتطم بالحائط، أصبح صوت كل شيء مضاعف، أعلى وأكثر حدة، قرأت يومًا أنّ القشرة السمعية لدى المكفوفين تكون أكثر حساسية مقارنة بالأشخاص العاديين، تلك القشرة قادرة على تمييز أدق ترددات الصوت؛ أي أنّ فاقدي البصر لديهم قدرة عالية على التفرقة بين الأصوات المتشابهة بدقة أكثر نتيجة حدة سمعهم، إن الله يحن على عباده بتعويض فقدهم، الحمد لله على قضاء الله وقدره.

أنا الآن غارق في الظلام يعدم والجوه والألوان، فراغ أسود يحيطني، وددت أن أعود إلى ذلك اليوم، لو كان بوسعي حينها لنظرت بعمق في الوجوه، لتفحصت الشوارع والسماء، البيوت والحارات، لتمعنت بوجهيّ أبي وأمي.

أصوات خافتة تتردد على مسمعي تخبرني بعجزي ومأساتي لفقدي تلك النعمة التي لم أشعر يومًا بعظمتها.

استيقظ يا بني لقد حل الصباح!

هذا أول ما سمعته، لكنني لم أرى سوى العتمة، همهم أبي بكلمات ثم قال: هل بإمكاننا اصطحابه اليوم إلى البيت؟ لن يكون خطرًا عليه أليس كذلك أيها الطبيب؟

إطلاقًا، بل من الجيد خروجه، وسيكون لذلك تأثيرًا إيجابيًا عليه ومساعدة لعلاجه سريعًا.

بعد ابتعاد أصواتهم، أدركت أنهم خرجوا من الغرفة، تنهدت، أردت معرفة إن كان هناك أحد بالغرفة، ولكنني لم أفعل، لم أشأ أن أظهر عجزي، لأشعر بعدها بصوت حركة حولي، حاولت أن أخمن من.

المهم أنك عدت إلينا بخير.

هل أنا بخير حقًا يا أمي، هل عدت إليكم حقًا، ألا يوجد لهذا الكابوس نهاية؟ وددّت لو أجبتها لكنني اكتفيت بالصمت.

بدأت أمي تساعدني بتبديل ملابسي، لتخبرني بصوتها المتلعثم: إن إخوتك يسألونني عنك دائمًا.

عاد أبي إلى الغرفة، هدوء دام ثوان ليقول بعدها وبحس من الدعابة قاصدًا التخفيف عن أثقال قلبي: ها أنت بكامل قواك يا بني، لنعد إلى

البيت، أخوك الصغير اشتاق للعب معك، في الحقيقه تعب من جلب بعض الأغراض للمنزل.

خرجت من المستشفى وبيدي عصا المكفوفين بدلًا من الهاتف، كان الأمر أشبه بأن يخونك ما راهنت الجميع على بقائه أن تخونك عيناك، شعرت أن الأرض غير متزنة فتميل لتطيح بي، يد أبي الصلبة كانت تعيد لي توازني، وكأنني أسير إلى المجهول، أحسست بوصولنا الدّوار القريب من منزلنا، بدا الطريق مألوفًا في ذاكرتي، توقفت السيارة ليفتح أبي الباب ويمسك يدي، أصوات السيارات وصرخات الأطفال، رائحة البهارات الهندية التي تنبعث من بيت جيراننا، أسير وأنا أتذكر المكان من حولي، توقفت أمام باب بيتنا وأبي يمسك بيدي، فُتح الباب، أصوات إخوتي يتهافتون إلي، دخلت البيت فالطريق مرسخ في ذاكرتي هذا هو ممر بيتنا، غرفه الجلوس ولوحة أمي المفضلة، رحت أُمرّر يدي على كل شيء لأكد ترسيخهم في ذاكرتي، شعرت بدفء بيتنا، رائحة الطعام تنبعث في أرجائه، ذهبت إلى غرفتي وحدي، ترددت في إقفال الباب لأترك شقًا مفتوحًا، طرقات خفيفه ليدخل أخي بعدها، أخذ يمسح على كتفي ليهون عليّ، ثم بدأ يخبرني كم من الأصدقاء والأقارب اطمأنوا علي ويتمنون لي الشفاء العاجل، ثم خرج ليدعني ارتاح فغرقت في أفكاري حتى تسلل النوم لعينيّ.

استيقظت بعد نوم دام ساعات طويلة، لم أدرك الوقت حتى بدأ المنبه يرن، إنه موعد استعدادي للذهاب إلى العمل، إذن فالساعة السادسة صباحًا، غرفتي مظلمة والعتمة حولي في كل الاتجاهات، بدأت أتخبط لأطفئ المنبه المزعج، أخيرًا نجحت في إسكاته! ها هو صوت المنبه ثانية، تذكرّت أني عادةً ما أضع الكثير من المنبهات لأستيقظ، خرجت من غرفتي أتلمس الجدران، غسلت وجهي.

صباح الخير يا بني.

صباح الخير يا أمي.

أكملت طريقي عائدًا لغرفتي، وأصوات العصافير قرب نافذتي، حاسة السمع تهون عليّ عتمتي.

صوت أمي البعيد، تردد أذكار الصباح، أجل ما زالت تجلس على سجادة الصلاة حتى شروق الشمس، أستمع لأمي بعناية، همهماتها التي تكاد لا تُسمع، كانت تدعي لي.

أفطرنا جميعًا ثم عدت إلى غرفتي، وبعد برهة سمعت طرقات خفيفة على بابي، دخل أخي وقال: ما رأيك أن نخرج للتنزه قليلًا، الجو جميل اليوم والهواء عليل.

خرجت من المنزل رافضًا استخدام عصا المكفوفين، ما زال الأمر صعبًا عليّ، أمسكت بيد أخي الصغير وأخي الكبير بجانبي الآخر، صمتٌ يحاصرنا، ليقطع هذا السكوت هتافات أخي يطلب بالونًا،

أخبرتهم أنني سأنتظرهم هنا، ذهبوا وأنا جالس على الكرسي، أشعر بحرارة الشمس ونسمات الهواء من حين لآخر، صوت جريان المياه وحفيف الأشجار، تتزاحم الأفكار داخل رأسي، لتبعث فيني فكرة قرأتها يومًا، تخيّل لو أننا نسمع بالألوان! لو استبدلنا العصب السمعي بالبصري، نظريًا سنستطيع سماع الضوء ورؤية الصوت؛ فيتم تحليل الفوتونات القادمة من العين إلى الشبكية وإرسالها إلى القسم السمعي في الدماغ، فتسمع صوت شروق الشمس، ضجيج النهار الذي سيكون مزعجًا جدًا، لكنك ستستمتع بصوت الليل.

فكرة خيالية نوعًا ما ولكنها ممتعة حقًا، غصت في أفكاري، لأشعر بعدها باصطدام مؤلم جدًا بأقدامي لطفل يقود سيارة كهربائية، لأسمع بعدها صراخ الأم وهي تهون على طفلها، وصرخات الأب آتية نحوي: هل أنت أعمى، ألا ترى أن الطفل آتٍ باتجاهك، ليلقي عليّ كلمات قبيحة؛ أدركت حينها أن العمى ليس عمى العيون بل عمى العقول، وأن العتمة التي تحيطني أهون عليّ من عتمة القلوب.

صوت أخي راكضًا: ما الذي يحدث؟! بقيت مُتسّمرًا.

لأشعر بعدها بالشخص يدفعني أرضًا بقوة شديدة، حاولت أن أتمسك بشيء، لكنني لم أستطع رؤية شيء لأتمسك به، ألم شديد في رأسي يتخلله صرخات أخي، توقفت الأصوات من حولي بعدها، واستيقظت لأجد أمي ممسكة يدي وترتل آيات من القرآن، ثم بدأ توهج يسطع من وسط عتمتي، خيوط تنتشر حولي لتغزل لي ألوان

الحياة، ألم في عينيّ ورأسي، بدأت أمي بالنداء بعلو صوتها للطبيب، الأصوات تتهافت حولي: أخبرنا ماذا ترى؟ بدأت الوجوه تظهر أمامي شيئًا فشيئًا، تكونت الحياة من حولي لتحمل آلاف المشاعر، وتخفي عتمتها لتظهر أجمل ما فيها .

الآن وبعد مرور عام...

ظننت أن حياتي اندثرت وأنّ السواد هو دليلي، ليحدث بعدها أن إصابة رأسي أدت لعملية وبحمد الله نجحت؛ واستعدت بعدها بصري تدريجيًا، أنا الآن بالطريق إلى عملي، أتأمل الحياة والألوان، الوجوه والطرقات، أترك ما يحزنني وأسعى للتمسك بالأمل، أدركت أن في كل عتمة نور وأن طريقتك للرؤية هي التي تحدد معالم الأشياء، ولكل إنسان تجاربه الخاصة يتعلم منها لتكون دليله، هناك زخم حيوي ونضج ينمو في كل لحظة واكبه ما دمت تحيا.

نور الهدى ياسين عويضة

لله ما تمنيناه وما أدركناه،

لله ما فارقناه بعدما ألفناه،

لله ما فاتنا دركه وما نسيناه.

لله نحن، وإليه راجعون

فاستغلوا أقداركم بنفس راضية

فالله يعلم و أنتم لا تعلمون.

نسيم هيثم

بعثرة الوجدان بين الأمن والأوطان

تدق عقارب الساعة بحذر كأنها تعلن لحظة الاستسلام لعالم مليء بالصدمات اللامتناهية، لربما في كل لحظة تقرر فيها أن تتراجع عن تلك الفكرة تُخط في مخيلتها أفكار تدعوها للتقدم، تمسح عن وجنتيها دموع الضعف والفرح، دموع عادة ما تهطل بغزارة من شدة التفكير، لتغير مسارها بين لحظة وأخرى من حياة مليئة بالهدوء والطمأنينة لحياة يقال عنها رحلة الشقاء لربما إلى وقت معين.

غالبا ما كنت أنظر إلى الطبيعة باعتبارها وسيلة يحدّث فيها الله تعالى قلوبنا عن طريقها، فلكي نسيطر على الطبيعة يجب على كل فرد منا أن يدرسها، وأن يصغي لصدى صوتها قبل أن تتكلم.

دموع تداعب أجفاني، وشوق يعيدني إلى الماضي الجميل، وآهات تتصاعد مع أنفاسي، أتذكر أيام الطفولة التي أحرقتها الحرب برمادها، وعلى درب ذاكرتي أتذكر بيتنا القديم وأزقة الحارة، وأصوات ما زالت تتردد على الأذهان، شوارع بقيت تحتضن بيتنا حتى انتزعت منه أصوات الفرحة، وأشجار باتت تستند على منزل عم الصمت جدرانه وامتلأت أرجاءه بالغبار، بيت تحول من جنة إلى رماد بسبب أيادٍ لم تعرف الرحمة، أيادٍ نزعت من أهل البيت روح الفرحة حتى أصبحوا طيور تهاجر بحثًا عن الأمان.

تسألني جدتي: ما بالك تسرحين كثيرًا هذه الأيام؟

أردّ والدمعة واقفة على حافة جفني تحاول الإمساك به حتى لا تسقط: جدتي هل سنهاجر حقًا كما تهاجر العصافير؟

كانت نظرتها تحارب كل ضعفها لترد قائلة: يومًا ما يا عصفورتي يومًا ما.

ربما كان ردها قابلًا لأن يعلق في مخيلتي حتى عمري هذا، وأنا بعيدة عن جذور عائلتي التي أفتقدها وسط الصراع الأليم الذي غير حالنا، وقتل روحنا بلحظة واحدة.

لا زلت أسمع صوت أمي: عصفورتي هيا لقد قارب الغداء أن يجهز، وكان أبي يحملني بين ذراعيه ليسمع صوت زقزقة سعاتي، لنلتم حول المائدة؛ عائلة كان كل ما يشغل بالها الأمن والأمان، كان حلمنا البقاء معًا، لكن الحقيقة كانت أمر من قهوة أبي الصباحية.

ربما الفنجان الأخير ذاك كان كفيلًا بأن يهدم كل ما تم بناؤه من حنان وأمان واستقرار، فبيتنا رغم صغره إلا أن جدرانه كانت تسند أكتافها على بعض لتنقل الدفء إلى أهله، كان أثاثه رغم بساطته يحمل في كل قطعة منه ذكرى لا تنسى؛ فعلى تلك الأريكة الزرقاء المزركشة كنت أجلس أقرأ دروسي، وفي تلك الزاوية كنت أصرخ فرحًا لقدوم جدي، و ماذا عن تلك الزاوية؟ كنت أبكي فيها كلما اشتد حزني.

صباحي في بيتنا القديم يبدأ بصوت زقزقة العصافير، نسيم خفيف يداعب أطراف خدودي الحمراء لأنهض و أنا أشعر كأنني إحدى تلك العصافير التي تقف على نوافذ بيتنا، فيبدأ باب البيت بإصدار أصوات تنادي علينا حتى نأخذ سلات مليئة بالخضار والفاكهة الناضجة.

صباح الثلاثاء كان يوم رحيلنا عن أرضنا وبيتنا، عن أناس عشنا معهم أسعد اللحظات، دموعنا أصبحت تتسابق، وآهات تخنقنا.

كنت لأقول أننا هجرنا بيتًا، لكنه كان أمًا احتوتنا وعاشت معنا لحظات حُفرت بقلوبنا وأصبحت عالقة في عقولنا، كنت دائمًا ما أقرأ الكتب ذات النهايات السعيدة، حتى جاءت نهاية قصتي، فلم أتوقع أنها ستكون ملحًا على جروح عميقة.

لا أدري أين اختفت أيام السكينة، وفي أي فجوة ابتعلها الزمن، لكن شذى عطرها مازال يفوح داخلي، فنحن دائمًا ما نزور الذكريات ونبحث في رمادها عن بعض الجمر لنشعل الحياة فينا مجددًا، قد تساعد تلك الطريقة في تخفيف بعض الحنين، لكنني لا أظن أنها تجدي معي نفعًا فحبي لبيتنا القديم بات متشبثًا بقلبي.

إن كان للمرء عزم في إرادته، فلا الطبيعة تثنيه ولا القدر، حملنا تلك الأمتعة الثقيلة على أكتاف تآكلت من التعب والشقاء ومشينا على طريق مجهول النهاية، لا يشبه أي طريق اعتدنا أن نمشي فيه.

ما أطول الطريق و ما أغرب تلك الوجوه أناس هنا و هناك، ضجة غريبة تدور حولي حتى تهت بين الأصوات من دموع؛ أصوات غصة القلب، فكنا بدنًا لا روح فيه وروح بلا بدن.

توقفنا قليلًا؛ ساعة استراحة حتى أسمع ذلك الشيخ الذي يحمل طفلًا على ظهره يقول: الفراق لسانه الدّموع، وحديثه الصّمت، وهو يجوب بنظره نحو السّماء.

كان وقع الكلمات على مسمعي كفيل بإسقاط دموع مليئة بالحزن والأسى والشوق ما يكفي لأن تكمل طريقها إلى عنقي، نهضت لأمسح عن وجنتي تلك الدموع المتراكمة من ضغط وحرقة لأحمل حقائبي على كتفي وأخطو بين الناس عليّ بذلك أهون على قلبي مرارة الشعور.

حتى صادفت فتاة في مثل عمري تنزف قدمها فهرولت نحوها كوني كنت أرقب أمي وهي تداوي ندبات أبي المتكررة؛ بسبب عمله الشاق، وسألتها بصوت يحمل من الخوف واللهفة ما يدفعها للموافقة على مساعدتها، فأخرجت من حقيبتي بعضًا من القماش والماء وبدأت بتطهير الجرح وهي تنظر بحداقة، حتى بادر في ذهنها سؤال ليأخذ بيدها وتطرحه على مسامعي قائلة: كيف لقلبك أن يلهف على غريب؟

نظرت إليها بنظرة كنظرة أمي لأبي وهو يسألها ألم تضجري؟

لتكمل عملها بابتسامة تحمل من الحب ما يكفي لاستمرار تلك العلاقة حتى لحظة لم تكن بالحسبان هذه المرة، لم أحزن للموضوع إنما أحزنني أني كنت على علم بنهاية ستحدث لا محال، أوجعتني الطريقة بذاتها وإنكاري لواقعها الذي عليّ التعايش معه رغم الظروف.

انتهيت من مداواة قدمها ونهضت ألملم أغراضي دون الالتفات لها حتى سمعتها تقول: الشكر قليل بحقك وحق من هم مثلك، لأنك ومع كل تلك الجثث المتناثرة هنا وهناك كنت الوحيدة ذات القلب الملهوف للخدمة، هل لي بأن أسألك أين تعملين؟

شعرت لحظتها أني سعيدة بشكل مكتئب، ومنعزلة بشكل اجتماعي، وغامضة بشكل واضح، وذكية بشكل متغابٍ، كنت مليئة بالتناقضات، ورددت مجيبة: بركن بيتنا في أحضان أمي رحمها الله، في أزقة الشوارع مع المهاجرين، كان حلمًا أردت تحققه لكن الأقدار كانت تعاكس أحلامي، فبشكل عام أحب الرحمة وأحب من يتحلى بها وأنا على يقين تام بأن الله يرعى قلب من يراعي قلوب خلقه.

بادرت بسؤال ثانٍ بابتسامة رقيقة حملت من الحب مشاعر كافية لأن تصل إلى قلبي بسرعة فائقة، فقالت: ما هي إنجازاتك في حياة كحياتنا هذه؟ كثيرًا ما كنت أسمع هذا السؤال وأسرح بالإجابة كثيرًا

لكن دون جدوى ففي حالتنا هذه من الصعب أن يأخذ الجاوب مقدار السطور المطلوبة للإجابة.

أغمضت عيناي بخفة وأسندت ظهري نحو حائط خلفي وبدأت بالحديث والهواء يضرب وجنتاي بخفة: لوّحت لكثير من الأطفال، ابتسمت للعابرين، أحببت أمي فوق التصورات، سهرت الليالي وأنا أصارع أفكاري وأهرب منها، هجرني ألف صديق وعشت صراعات أزلية مع ذاتي ومستقبلي، أحلامي على حافة الانهيار، تم خداعي وصعقت، صدمت ثم نهضت بكل قواي، تلقيت خيبات كثيرة وفقدت أغلى ما أملك وعدت أقوى مما سبق.

أخذَتْ تنهيدة قوية كافية لرفع خصل شعرها الذهبية عن وجهها الأسمر ذاك لترد قائلة: لست ممن يحب الحزن على الإطلاق، أملك روحًا فكاهية لكن هناك أوقات تحدث فيها أمور تطفىء هذا الكون بأكمله في عيني، لقد كنت من النوع الذي لا يغلق بابه في وجه أحد حتى مررت بخيبات قد تشابه خاصتك جعلتني أخاف فتح ذلك الباب بوجه كل غريب لم أصدف رؤيته قبل.

إنها تشبهني، شعرت بجاذبية قوية تشدها نحوي في طبعها المتناقض؛ حادة اللسان لكنها تراعي مشاعر الآخرين، جدية الذهن لكنها قادرة على ارتكاب الحماقات، كتلك التي جعلت قدمها تنزف لمشيها السريع بين المهاجرين على جوانب الطريق والصخور

المتراكمة، منفتحة لامتصاص ألم الآخرين بقدر ما هي قادرة على أن تكون وحيدة.

ها هو سائس الرحلة ينادي على الجثث المهاجرة مقاطعًا لحظة كنت أود فيها التقرب منها علَها تكون دليلي، وصديقة رحلتي لكن لحظة المقاطعة تلك جعلتني أتراجع لأطبطب على كتفها قائلة مع ابتسامة خفيفة: يومًا ما لربما يومًا ما.

نهضنا لنكمل المسير، أيام عديدة مضت من المشي على أقدام متآكلة من التعب والألم، حتى وصلنا لمنطقة مأهولة بالخيام والأطفال والهرم ذاك والهرمة تلك، فمن هنا تمنيت لحياتي حياة أخرى أود أن أعيشها بشكل عكسي؛ أن تبدأ بالموت فأتخلص منه، ثم أصحو في دار للمسنين، لأشعر بتحسن كل يوم، وها أنا أطرد منه لأنني صرت معافاة للغاية، أذهب لأحصل على معاشي، وعندما أشرع في العمل، أحصل في يومي الأول على ساعة ذهبية وحفل، أعمل أربعين عامًا إلى أن أصبح شابًا بما يكفي لأستمتع بتقاعدي، فأحتفل وأشرب الخمر، الآن أنا مستعدة للمدرسة الثانوية، لألتحق بعدها بالابتدائية، وأصبح طفلة لألعب وألعب فلا مسؤوليات لدي، ثم رضيعًا إلى أن أولد، لأمضي أشهري التسعة الأخيرة مزود بتدفئة مركزية، خدمة للغرف، وسكن يتسع كل يوم، والآن ها أنا ذي أنتهي كنشوة إلى عدم الوجود.

فكما قالت أمي شفاء سوى الزمن، لا بد من مرور فترة زمنية طويلة على أي جرح قد خط قلوبنا حتى يشفى، فلا توجد نصائح ولا أدوية لحقن الألم سوى مرور الزمن عليه.
أغلقت دفتر ذكرياتي ذاك فقد أخذت عيوني تغفو قليلًا على حافة الحجر الذي صمد كصمودي.

يا ألله أنت أكبر من هذا العجز والحظ، وأكبر من هذا التعقيد والبعثرة، اختر لي ولا تخيّرني، واكفني شتات العقل وحزن القلب، وحيرة النفس، وعيش حياتي بتحمل ورضى، وتقبل وتجاهل، وسعي وصبر، فعليك توكلت وأنت خير وكيل، فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

ثم أغلقت عينيها محققة أمنيتها بأن تبدأ حياتها المعاكسة كما أرادت.

نسيم هيثم

أصبَحت الحياة كخيوط رفيعة مِن الأمل،

فالعُمر لا يحيك لكَ مُستقبلًا دونَ تعب.

أنتَ الذي تختار وِجهَتك،

هل ستُكمل مسيرة بدأتَ بِها

أم ستطوي صفَحات مِنَ العُمر

لِتمسح بِممحاة ما رسمتهُ يداك

بينَ سُطور الحياة،

وتمْضي ما تبقى من الأيام بِلا أحلام.

أسماء أحمد الدرغام

رغبات كاتبة

لكل مِنا سقف أُمنيات يطمح لتحقيقه، يمشي راكِضًا نحوَه، يُفكر باستمرار بِه، يدعو أن يتحقق ويتلوى مشتاقًا لرؤية هذا اليوم.

ألا نقول أنَّ الأمنيات والأحلام هي شمعَة الأيام، وأن قافِلة الحياة لا تسير حتى تأخُذ معها نجمة من سماء الأمنيات، ألم نُدرك يومًا أن قِطارات الأمل لا تغلق أبوابها، وأن طائِرات الحُزن لا تطير، فهل سنُبحر بِأحلامنا ذات يوم ونكون ما نُريد؟ أم سنبقى في عزلة تقتُلنا شوقًا، أليسَ للأحلام الواقعية قِمم؟

وقفت هذهِ الأُمنية كالصبوة في أحد جدران قلبي المُنطفئ، وكانت شمعة أيامي المضياءة، هذه أنا التي بقيتُ منتظرة لأُحقّق هذا الحلم يومًا، أردت أن أُصبِح يومًا ما أملًا لِمن يخشى الفشل، ودواءً لِكُلِ داء، أردتُ بِشِدة أن أكون بلسمًا لِجروح الآخَرين، وعِطرًا لِأرواحهم، لم أفكر سوى في عملي بتلك المِهنة الإنسانية، وحلمتُ بهذه اللحظة كثيرًا لِدرجة أني كُنتُ أهلوس بِها دائِمًا، كانت عيني لا ترى سِوى حُلمي وعقلي لا يُفكّر بشيء سِواه، ألا يستحق التضحية من أجل سعادتي؟

لم أعطي انتِباهي لِشيء آخر، ولم ألحظ أنني أُبدع بِشيء بعيد جِدًا عن أحلامي، جميع حروف لغات العالم لا تصف إبداعي الذي غفلتُهُ تمامًا! تفكيري بِنفسي جعَلني أظلِم جزءًا مني يحتاج أن أُنيرَهُ للعالم.

وهل جُمِعت الحروف والكلِمات لِتَقِف في زوايا حياتي؟ أم أن أُمنِيَتي وَقَفت خلفي كي تُنَبِّأني بِشيء جهِلتهُ وفاتَني، نبَضَ قلبي كثيرًا لِتِلكَ الأُمنية، كانت جزءًا كبيرًا مِن حِكايَتي، لم أصل إلى حُلمي ولم أُمسِك بِنجمة أحلامي! رُبما أغلَقت قِطاراتُ الأمل أبوابها ولم تسمح لي بالدُخول، لم أبحِر بِأُمنيَتي سعيدة، أنزلتُ الأشرِعة ومضيتُ حزينة لا أُبالي، كيفَ لي أن أُبحر بِسفينة لا تحمِلُ أحلامي؟

أدركتُ حينَها أنني لن أحصل على كُل ما أُريد أخذه، ولن آخُذ سِوى نصيبي مِن هذهِ الحياة، وأن قِسمَتي كانَت أجمل بِكثير من أُمنِياتي التي تمزقتُ حُزنًا من أجلِها، أيقنتُ أنني لن أحصل إلا على ما أستحقه.

أشكُر جميع من كان يقف بِجانِبي، من لم يسمح لي بالسُقوط، من دَفَعَني خطوة لِلأمام دائِمًا، إلى من أمدَّني بِطاقة لا تنتَهي وصبر لا يفرغ، أحد ما أقنَعَني بأنني لن أكون سِوى أنا، أقنَعَني ألا أترك قلَمي أبدًا، وأخبَرَني أنني إن تركتُ قلمي فإنّ الأقلام سَتَجُفُ حُزنًا، وأنَّ صُحف العالم ستبقى دائِمًا ناقِصة، أشبِعينا فأنتِ بحر مِن الكلِمات، ونهر جارٍ مِنَ الأمل، ها هوَ جانِبكِ المُظلم تشتعل فيهِ شُموع الأمل، بعيدًا عن الخذلان، فتحت سماءُ الأُمنِياتِ أبوابها لك، وألقت إليكِ

بنجمة مُضيئة، عسى أن تكون لكِ خيرًا وأملًا، هذهِ ذخيرَةُ الحياة لكِ احتَفِظي بِها.

تلامَست مشاعِري فعانقت قلبي، تصافَحت وجنَتايّ، وتراقَصت أقلامي، وداعًا لِحُلم سكنَ قلبي وفارقَ جسدي، أودعتُهُ على سِكة مِن حديد وباتت قِطاراتُ العالم تُلامِسُه، وأخيرًا لامست أملًا لن يحزِنَني يومًا، فعالم الكِتابة أصبح عالَمي، سطرتُ أحلامي بِسُطور تتناثر مِنها حُروف الحياة، وألقيتُ بِأُمنِيَتي بعيدًا عسى أن تكون مِن نَصيب شخصٍ آخر، فأنا سعيدة بِما حظيت، ولن أكتَرِث بِما مضى، لن أعبث مع نفسي بعدَ الآن وراضِية كُلَ الرِضى على ما حصل.

جعلتُ مِن كَلِماتي سُطورًا تداوَلَت بينَ الجميع، نهضتُ مِن عالَمي الحزين إلى عالم أقفَزَ قلبي فرحًا، والأهم أنني بعثرتُ مشاعِرَ من أرادَ سُقوطي، ولم أكتَفِ قط؛ فاليوم حققتُ الكَثير مِن أحلامي وأمسكتُ بِسلّم الحياة مُبتَسِمة، وأهدافي بعدَ الآن لن تكون سِوى القِمم، حتى وإن ساومتني الحياة لن أُبالي.

أكتُب قِصتي عَلها تكون عبرة لي وللتائِهين في دروب الحياة، تعثرتُ كثيرًا حتى وصلتُ إلى هُنا، فثغرات الحياة مُؤلِمة ولكِن أهلًا بِألم يأتي بعدَهُ أمل.

أسماء أحمد الدرغام

أحيَا بينَ النِّيران، أركُضُ علَى حَوَاف الأجرَاف. أنَا العَاصِفَة، رُوحِي إعصَارُهَا الأشَد، رَأسِي مَطَرُهَا الأصخَب، وقَلبِي بَرقُهَا الألمَع. أنَا مجدَافُ قارِبِي، عُكّازُ سقُوطِي، وربيعُ شِتَائِي. أحيَا، لكِن إلَى مَتَى؟

يَوم؟

أسبُوع؟

عَام؟

عَشرَةُ أعوَام؟

لَعَلَّ حَيَاتِي مَشدُودَة بإحكَامٍ لِخيطٍّ رَفِيع،

وكَذلِكَ هُوَ الحَال بِالنِّسبَةِ لِحَيَاتِك.

بيان سودان

"أرانـــي"

المستشفى.

قسم الطوارئ، الساعة الثالثة فجراً.

سوادٌ مريحٌ للعيونِ والأعصاب، وهدوءٌ يبعثُ على التأمُّل، أشعُر بثقَل جسدِي وكأنَّه مَرمِي من حَافَّة جُرف لا أسفَل له، فيتهَاوى ويتهَاوى ويتهَاوى، دون توقُّف. هنَاكَ شيءٌ ما يشُدُّ على وجهِي وأنفِي، وشيءٌ آخرُ يخترقُ أعلَى يديَ اليُمنى، ورائحة غريبة في الأجواء تبعثُ على المرض.

لا أعلمُ أينَ أنا، وفي الواقِع لا آبَه كثيراً لذلك .

أمي: "انهضي يا ابنتي، لا أستطيع العيش دونك"!

لطَالما أخفيتِ عنِّي الكثير، ولطَالما تجنبتِ الحديثَ معي. لطَالما تساءلتُ لمَ أكون الأقل تفضيلاً والأكثر اختلافاً، الأخيرةُ ملاذاً والأولى عاتقاً يتحمّل، لطَالما حاوَلتُ فهمَكِ، ولكنِّي بِئتُ بفشلٍ مرير كلِّ مرّة. أعلم أنّك ضحّيتِ بالكثير لأجلنا، وأعلم كم من الحِمل تحمِلين. رغمَ ذلك، تمنّيت لو كانَت علاقتُنا كما تلكَ التي لدى صديقاتي، تحدّث وتسامُر ودردشةٌ لطيفة، لكن وأسفاه. حديثُنا كان شجار، تسامُرنا

كان تَزمّتٌ عنيف، ودردشاتُنا طالت وطالت إلى أن أصبَحت فضفضةً منكِ وسَمْعٌ منّي.

تمنيتُ لو تعلمِي بمَ أشعُر.

تمنيتُ لو أدركتِ كم من الثّقلِ عَلَي، أشاطِرُكِ إياه.

تمنيتُ لو اعترفتِ بنضجِي.

لكن، وأسفاه.

أتمنى أن تبقَي بخير. واعذريني، تعبت يا أمّي واكتفيت، لم أعد أقوى على النّضال لجانبك؛ فصخبُ الأصواتِ في رأسي باتَ يغطّي على فضفضةِ حديثِكِ.

فاعذُريني، عليكِ إكمالُ الطّريقِ وحدَكِ.

ونعم، بإمكانكِ العيشَ دوني.

أبي: "استفيقي عزيزتي... نحن بجانبك".

أَوَحقاً هذا؟ قضيتُ عاميَ الأخير في المدرَسة والأولُ في الجامعةِ وحدِي، لم يسأل أحدٌ عنّي إلّا من رَحِمَ ربّي. بجانبِي؟ ليالٍ أمضيتُها بنفسِي معَ نفسِي، أغرَقُ وأستغرِقُ في عُزلَتي. واللهُ وحدَه يعلم كم من الأصواتِ صَرَخَت فيّ طالبةً النجدة، تبحَثُ عن أذنٍ مهتمةٍ تسمَع، تسمَعُ فحسب.

بجانِبي؟ وعودٌ شبهُ فارغَة، أين كانَ العالم عندما أحتجت سَنَداً لأتكئ، كتفاً لأبكي، يداً تُربّت، وقلباً يَرحمُ ويُشفِق.

غبتَ يا والدي عنّا لزمن، زمنٍ ما كانَ بقصير. تركتنا نتخبط حائِرين، كيفَ ندبّر أمرنا، ومن كانَ بمُعينٍ قد تَرَكنا. يكفينا من الحياةِ همّها وقسوتُها، فأقلّها أن نكون يداً واحدة في وجهِهَا، في وجهِ مِحَنِنَا المشتركة، أليس كذلك؟ عوضاً عن الخِلافِ والبرودِ واللامبالاة التي تشوبُ أجواءك.

أحبّك كل الحب، لكنّك لم تكن إلى جَانِبي حِينَ احتَجتُك.

لا تنكِر ذلك.

إخوتي: "عودي، نرجوكِ عودي! لن نزعجك ثانيةً! نعدك! نعدك"!!

أشفِقُ علينا، لم نعِش الحياةَ التي عاشها آباؤنا وأجدادُنا، أعمامُنا وأخوالُنا، حَكَمَتِ الظروف علينا أن نخرُجَ بلادَنا تاركين فيها كلّ ما نملِك، آملين أن نبدَأ حياةً جديدةً مطَمئِنينَ أنفسنا أنّ الأمرَ يسير. وعلى أمل العودة باقون.

كلٌ منّا نمت شخصيته باتجاه، الرّصينة المِعطاءة، المُهابة القويّة، المتوتّرة الحائرة، والضّاجّة الصّاخبة. و لأنّه شاءَ القدرُ أن يتزامنَ ربيعُ شَبابِنا وخَريفَ أوطانِنَا، عاشَت ذواتُنَا بصَخبٍ وتَخبّطت. لكنّنا سَنعود، والعودُ بإذنه أجملُ.

سأعود يوماً لأنعَمَ بوَطَني، أمشي في حاراته العتِيقَة، لأكفكِفَ دمعَ دمشقَ الذي حدّثني عنهُ شَوقِي، وأستنشِقُ عَبَقَ ياسمينةِ درويش. فأجزائي كقبّانِي، مُبعثَرةٌ مَنشُورَةٌ فوقَ المُحيط، تتقاذَفُها البحارُ منذُ أزلٍ سَحِيق، أطوق وأطوق لليَومِ الذي سَتَضُمّها بِهِ مآذنَ الشّامِ.

شَهر، عدة أشهُر، سَنة، سَنتان، خمسُ سَنوات...

ولم نَعُد بَعد. لكنّي على العَهدِ باقِية. وإن كانَ مَكتوباً ألّا أعودَ لها، فروحِي سَتطُوفُ أرجَاءهَا حُباً وكرامةً. لِتنثُرُ حباً، سَلاماً، وسَكِينة.

ذاك كانَ آخِرَ ما سمِعتُه منهُم، قبلَ أن أغرقَ في السوادِ المريحِ للعيونِ والأعصاب، والهدوءِ الذي يبعثُ على التأمُّل. توقّفوا جَميعُكم عنِ الحَديث فلَن يُجدِيَ هذا بروحٍ مُتعبةٍ تطُوقُ الخَلاصَ نَفعَاً. الخيارُ خَيارِي. هَل أعلنُ استسلامِي الآن؟ أأُنزِلُ راياتي؟ هل سَتَغرُبُ شَمسُ مُدُني السّرمدية، التّي لا تغيبُ أبداً؟

صوتٌ خافت، وإضاءةٌ باهتة. يَشُقّانِ طريقَهُمَا بينَ عَتمَتِي. وضجيجُ الحياةِ يَعود. آلاتٌ طِبيّة وصوتُها صفيرٍ مستمرٍ غيرَ متقطّع. وبكاءٌ من كل الأنواع والطّبقات، حادٌ خشنٌ عشوائيٌ وشيءٌ من شهيقٍ ينهَمُ الأوكسجينَ بعَجَل.

يزولُ السوادُ شيئاً فشيئاً، وتتّضح الرؤية.

أراني.

تلكَ أنا! هذه أنا هِيَ أنا إنها أنتِ!

أنتِ أنا!

أراني. كيف؟

قناعٌ يضخّ الأوكسجين على وجهِي، وجهيَ الذي فَقَدَ بريقَهُ مؤخراً فَشَحُب. وإبرةٌ معدنيةٌ مربوطةٌ بكيسِ محلولِ مغذٍ أراهُ معلّقاً قُربَ السّرير، تدخُلُ الإبرةَ أعلى يديَ اليُمنى لتختَرِقَ جِلدَها.

أراني، جسدي المُمَدّد طريحَ الفراش. يقفُ بجانبي الطّبيبُ يتأمّلُ الجهازَ ذا الصّفيرِ المستمر. أبي وأمّي يبكيان. بكاءٌ خشنٌ وآخَرَ حاد. إخوتي يبكون، يشهق الصّغار شهيقاً بعدَ شهيق. أمّا الصّبيّ من جِيلي فيخرُجُ مندَفِعاً منَ الغرفَة، مَستشيطاً.

الطّبيب: "الأمرُ باتَ بيدِها. إمّا أن تتعلّق بالحياة أو تفلِتُها".

أشعر بالخفّة، أحلّقُ وأرى الجميعَ منَ هُنا، منَ الأعلى. الطّبيبُ ينزِلُ ظهرَ الفراشِ فيصبِحُ أملس .

يَستعدّ ليفصِلَ جهَازَ الإنعاش ذُو الصَفير المزعِج، والّذي لم يعُد لأرقامِه المُستَقرّة على الخمسِينَ معنى. أشعُرُ بي أطيرُ مبتعدةً عنهم.

أراني،

جسدٌ هامِدٌ هُناك، ساكِنٌ على غيرِ عادَتِه بِلا حَراك.

أراني،

جُرحٌ في الرّوحِ لا يزالُ طَريّاً، ولن تَستطِيعَ أيُّ نارٍ أن تَكوِيه.

ومع هذا المَشهَدِ الأشبَه بالسّينَمائِي، يُرخَى سِتارُ آخرِ فُصولِ مَسرحيّةِ حَياتِي، جَانبُها الخَيّر صَبرِي، الشرّيرُ مُعاناتِي، والضّحِيّة... حُلمِي.

نفسي: " ما بكِ يا فتاة؟ انهضي! ما عهِدنا أن نكونَ كَذلِك، ضِعَافَ لا حولَ لنا ولا قُوّة. انهَضِي! سَتتحسّنُ علاقتُكِ بوالِدَتك، وكلُّ مرٍّ سيَمُر .

لطالما كنتِ لنفسِك يداً وكتفاً وسَنَد. يتدمّرُ البرجُ فتُشِديهِ أعلى وأقوى. ألستِ أنتِ من قلتِ لأحدهم "كُن لِنَفسك كلّ شَيء"؟

بيدكِ أنتِ، أنجزتِ الكَثيرَ والكَثير، ورُغمَ وَحدَتِكِ تألّقتِ، سَطَعَ نجمُكِ فأضاءَ المكانَ الذي به كنتِ. شاءَ القدرُ ألّا تعيشي الطّفولةَ المعهودة، وشاءَ كذلك أن تكونَ حياتُكِ أصعَبَ من غيرِهَا، فهل نَستَسلِم؟ أنتِ التّي ناشَدَت الجميع ألّا نَستَسلِم مَهمَا حَصَل، مَهمَا مرَرتُم من مَصاعِبَ مَهمَا صَعُبَ الوصُول، أتَستسلِمِين؟

ألسنَا سوَى أطوارَ تتغيّر تتبدّل، تحزَنُ تسعَد، اليومُ عليكِ وغداً يكونُ لكِ، ألَستِ أحَقَّ ببَالٍ يُقالُ لهُ كَلامٌ لَطيفٌ فيَطمَئِن؟

أنتِ الّتي صَرَخَت مِلئ أنفَاسِها "حُلمي! حُلمي سأحَقِّقك ولو كلّفني العُمر!" أتَتَخَلّينَ عن حلمكِ؟ ذاكَ الّذي أخَذَ بيَدكِ وأحكَمَ عَليهَا في أشَدّ أيّامِكِ حُلكةً، ذاكَ الّذي قاتلتِي العالَمَ لأجلِه، أتَتَخَلّينَ عنه؟

ليسَت تِلكَ الفَتاةُ الّتي أعهَدُها. عهدتُكِ قويّة يا أنتِ، رصينةً مِعطاءة، هذا ما صَقَلَتكِ عَلَيهِ السّنونُ فَؤلتِي إليه. لستِ جُرفَا تَحُتّ وتُعَرّي بكِ عَوامِلُ الطّبيعَة. أنتِ أنتِ، مَهمَا تَبدّلتِ الفُصولُ حَولَكِ.

اسمعِي، ورَكّزي، لا يَهمُ مَن مَعكِ ومَن ضِدّكِ، طَالمَا أنّ فِي جَسَدِكِ رُوحاً تَشعُر، وقَلباً يَنبُض، وعَقلاً يَحكُمُهُ المنطِقُ فيفكِّرُ ويَتَفكّر، فأنتِ أهلٌ لها، سَتصِلي حُلمَكِ، ستُحقّقِي مُرادَك، وتثبِتي للجَميع، لكلّ منِ استهانَ بكِ، لكلّ منِ استَغلّ لَحظَاتِ ضَعفِكِ، لكلّ مَن خَالَكِ سَهلَةَ المَنال، أنّك تمكّنتِ مِن الظّروف وقَهَرتِهَا. وستَصِلُ صرخَتُكِ مَداهَا ووُجهَتِها أخِيراً.

وسَيَسمَعون".

.

.

.

.

صَفيرٌ مُتَقَطّعٌ مُزعِج.

نَبضَة

بيان سودان

أيحقُّ ليَ العيش؟

سؤال يتراود في فكر كلِّ أنثى

في مجتمعات متحجرة العقول!

مجتمعات تجعل ألطف كائنات الكون

تخوض أشد المعارك مقابل أبسط حقوقها!

كوثر حسن بادنجكي

ظروفٌ قاتلة

ساعاتٌ طويلة من الألم والمعاناة في زوايا المستشفى، أوّل حملٍ لها، لا فائدة من الاستعجال، يشتدُّ المخاض بها، ولا معينَ لها سوى يَدُ ممرضة بائسة!

حانت اللحظات الحاسمة، في غرفة خفيفة الإضاءة، مخيفَة وباردة، تصرخُ أعلى صرخات الألم، تُنار الغرفة ببهجة صوت بكاء رقيق، تَضُمُّ جنينها لصدرها، تشمُّ رائحته، تعانقه وسطَ بكاءه الشديد، وألمها الحاد، تعانق الحياة مرة أخرى، وكأنها اكتسبت فرصة جديدة للعيش، دقائق معدودة وسط لذة النجاة، ليُعاد شريطُ آخر سنوات لها أمام ناظرها، وتشرد في الذكريات والأوجاع.

2005

عدد كبير من الأولاد، وأب ضعيفُ البنية ذو دخل محدود، أمٌّ مُتعبةٌ من السَعي لإشباع بطون أطفالها.

يتهالك الأب ويستلسم للتعب! لا يبحث عن حل ليرعى أسرته ويزيد دخلها.

فتاة وحيدة لخمس أخوة ذكور، في بداية مراهقتها، ذات الرابعة عشر من عمرها، متقلبةُ المزاج، عادت من مدرستها في يوم من الأيام، وبدأت شجارها مع أخوتها كعادتها الطفولية.

أحمد اترك لعبتي!

خالد لا تتدخل بي!

اتركوني!

عثماان كفى!!

تركض لأبيها مُنزعجة تصرخ: أبي أبي، قلّ لهم أن يكفوا عن مضايقتي، لقد تعبت من مشاجراتهم!!

تثير غضب أبيها المُضعف؛ تنهال الشتائم عليهم ويصرخ على أبناءه: يكفي! اتركوها! واذهبوا لدراستكم، فلتنفعوا أسرتنا بشيء!! كفاكم لهوًا.

كانت الأيام تمرُّ بمآسٍ كثيرة، وحالة الأسرة الاقتصادية تزداد سوءًا مع الأيام، الأم تُدير أسرتها وتذهب وابنتها لتنظيف المنازل لتُعيل زوجها بالقليل من المصروف.

إلى أن يأتي طالبٌ لوحيدةِ أهلها يكبرها بأعوام عديدة، ويُقنع الأسرة مقابل مهرٍ يُعدُّ ثروة في حالتهم، يوافقُ والدها طمعًا بالمال، ويُقنع زوجته بأنها طريقة لتخفيف المسؤولية والمصاريف، فيوافقان

ويخبران طفلتهما بالخبر، فتوافق الطفلة لأنها مع صغر سنّها تجدها سبيلًا للخلاص من ضغط ومشاكل عائلتها، كانت تعاني من ظمأ عاطفي مستديم فظنّته سحابتها المرنانة المعطاءة.

يتم الزواج في غضون أيام قليلة، بلا احتفال ولا بهجة، بضعة ملابس من هنا وهناك، ولوازم معدودة لغرفة زفافها في منزل أهل الزوج، لم تكن على دراية بحقوقها؛ ما جعلها تقبل كل ما يُقدم لها بفرحة طائلة، اعتقدت أنها ستكون أميرة قلبه، فيحبها ويعوّضها سنين مرة عانتها مع أهلها، انتظرت نجاتها من ذلك المنزل القاتم المروّع طويًلا، ولكنها الآن قد وقعت في فخ الواقعية الظالمة، لقد خُدعت بهذه السَحَابة التي لجأت إليها؛ فاعتقلتها وجعلتها سجينة بيت كئيب متخلّف العقلية، بدلًا من قصر الحب والسكينة التي كانت تحلم به، احتجزها الأمير المزيف خادمة له ولأمه الطاغية.

كيف ستقاوم كل هذا الظلم واليأس بمفردها! هل ستقف صامدة في هذه المعركة الشرسة، أم تهرب لتنجو بحياتها؟ ولكن السؤال الجارح إلى أين ستذهب؟ فلم يعد لديها أي ملاذ آخر بعد ابتعاد أهلها وتخليهم عنها.

قيّدها اليأس والإحباط، فاضطرت لتحمل قدرها وطغيان زوجها وأمه، بانتظار فرج من الله يخلصها من هذا الضيق.

مرَّت شهور عدة على زواجها، وكان الزوج يكبرها بسنين عديدة، فانتهى صبره، وبدأ يتردَّد إلى أمِّه كثيرًا لتأخذ زوجته إلى طبيبة تفحصها؛ لتأخرها بالحمل، أخذوا الطفلة المسكينة بموعد ثابتٍ كل أسبوع، وَردُّ الطبيبة لا يتغير!

زوجتك ما تزال صغيرة!

بنية جسدها ضعيفة لهذا الجهد!

وبعد كل موعدٍ كان ترجفُ درجة الإغماء، وكانت تغوص بتوقعات متوحشة لردة فعل زوجها، كانت تعلم ما سيواجهها في المنزل؛ ستواجه تنينًا ثائرًا غاضبًا يفتك بجسدها، ويهشمّها ضربًا، حاولت أن تلجأ لأهلها مرات عدة؛ إلا أنهم قطعوا الاتصال معها أيضًا بعد أن استولوا على مهرها!

جروح عميقة داخلية تنهش روحها، مدة ثلاث سنين، وهي تصبّر نفسها؛ فلا مأوى آخر لها! إلى أن هداها الله فرصة لتتمسك بالحياة من جديد، روحًا بداخلها، تعيش معها، تشعر بأدق تفاصيلها، تسايرها صعوبات حياتها، نعم لقد بَشَّرتهم الطبيبة بحمل الطفلة.

ولكنها حذّرتهم قائلة: إنها بحاجة للعناية الفائقة، ولحياةٍ هادئة مريحة، فهذا حملها الأول وهي بهذا العمر الصغير.

سايرها الزوج ومَضَت شهور طويلة من الألم والخطر والخوف، إلى أن جاء اليوم الموعود، في ساعاتٍ متأخرة من الليل أيقظت زوجها، وذهب بها مستعجلًا إلى المستشفى، صَبر على ألمها ساعة، وساعتان، ثم قطّبَ حاجبيه، وفرَّ كثورٍ غاضبٍ ليتركها بمفردها، تعاني في زوايا المستشفى البائسة ويعود ليكمُل نومه!

رنين صوت جهاز الإنعاش المزعج يقطع شريط ذكرياتها، لتعود لواقعها وسط صراخ طفلتها، وألمها الحاد؛ نزيفٌ مفاجىء، إلّا أنّه لم يكن مفاجئًا للطبيبة؛ لأنها سبق وأخبرتهم عن مخاطر هذه الولادة على حياتها وحياة الجنين!

نبضات قلبها تتباطأ، ويتخلله صوت طبيبتها: هل تسمعينني؟ أرجوكِ تمالكي نفسك لا تتركي هذه الطفلة الصغيرة تواجه مخالب الدنيا بمفردها.

تعانق طفلتها وتقول لها وسط تأوّه وانقطاع لأنفاسها: لا تقلقي يا بنيتي لن أتركك لهم، لن أتركك لعقولهم المتخلفة، وقلوبهم المتحجرة، لن أسمح لهم بجعل قدركِ كقدري!

تسكتُ الطفلة فجأة وتعانق أمَّها بشدة، بدأ صقيع جسد كلتيهما يزداد مع انخفاض ضغط الدم، فترد الأم مع زفرات نفسها الأخيرة: لا تخافي يا صغيرتي لقد تخلّصنا من هذا العذاب، راحلون لدار الأمان

والقرار يا بنيتي، راحلون من دنيا الظلم والطغيان إلى ربّ الأنام يا صغيرتي.

أغمضتا أعينهما ونامتا بأمان وسلام.

أنظر حولي ولا أرى سوى ومضة نور وسط عتمة تحيطني وطفلتي، أفكار تتدافع في ذهني، أكاد أفقد صوابي من كثرتها! أين نحن؟ ما هذا المكان؟ بدأ الموقف يتضح بعض الشيء وستار الغموض بات ينكشف؛ وأخيرًا ها أنا أرى الناس تتجمع حولنا يبكون! أتفرّس نظراتهم وهم ينتحبون، أتأملهم يرتجفون بنشيج متصنّع، ويتباكون كذبًا، وكأنّني أشاهد مسرحية للمخادعين! فلا مجال لإقناعي بتمثيلهم المُضحك يا ألله! ما هذا النفاق القاتل؟ كيف يبكون وهم السبب في موتنا؟

من بينهم جميعًا أبصرت أسرتي المثيرة للشفقة، لا زلت أذكر تقاسيم وجه أبي وأمي، إنهم أمامي الآن أشبه بخيالات لا أكثر، لا يحمل معالمهم الباهتة سوى الشقاء والندم؛ فبعد أن ضحكت لهم الحياة بخداعها، وبعد استمتاعهم بمهر عمري وحياتي، غرزت أنياب الأسف والندم بقلوبهم، فلا نجاة لهم بعد اليوم، هذا الوجع والذنب سيظل ملاحقًا لهم كالظل الدائم.

ستظل الخطيئة متلبسة بهم، ها هو أبي يطيل النظر لنعشينا، أبي وجدّ ابنتي، أبي الذي لم يشعرني يومًا بالسند وبحنان العلاقة الروحية الدئمة كما يقولون تلك العلاقة التي تربط كل أب بابنته!

أما أمي المسكينة غارقة ببحر من الشوق والتحسّر لرائحتي، أعتقد أنها الوحيدة التي ستشعر الآن بفقد روحين لا روحًا واحدة، فمشاعر الجدة هي الأقرب لمشاعر الأم، وهي الآن فقدت هذه الفرصة المليئة بالعواطف والروابط الوثيقة.

وبعد الانتهاء من مراسم الدفن، كل ذهب بطريق يجرجر ذيله خلفه، أقف على حافة القبر ممسكةً يد بنيتي، أتأمل شواهد قبرينا، أتأمل اسمي لآخر مرة في الحياة الدنيا، فألحظ مجموعة من النساء يراقبننا من بعيد، أقترب منهنّ متعجبةً، فتبادر واحدة بسؤال ظل يراودني طيلة مدة حملي؛ قالت: كيف وجدت الجرأة للمخاطرة بحياتك وأنت تعلمين مصيرك في هذا الحمل؟

ابستمت ابتسامة خفيفة وأجبتها: لا أَنكرُ قلقي وخوفي من الموت مُنذ بداية حملي، لأنني على دراية بخطورة الأمر، ولكنني في الوقت ذاته كنتُ بحاجة لقارب نجاةٍ ينتشلني من ظلمة البحر التي كُنت أغرق به يومًا بعدَ يوم! نعم لقد كانت حياتي كسفينة ثُقبت في أشدّ نقاط ضعفها!

فقد كنت في كل يوم أمضيه في ذلك المنزل المظلم أزداد إرهاقًا، ويزداد تسرّب المياه في سفينة حياتي وأغرق تارة بعد تارة! إلى أن أرسل الله قاربَ نجاةٍ معشّش في أحشائي، كُنت أعلمُ مصيري، ولكنني لم أملك أي فرصة أخرى للحياة! لم يبقَ لدي داعٍ لأتذلل لهذا الوحش البغيض وأمهُ الأنانية.

كنت أسيرة قفص يُسمى بالمنزل سنوات عديدة، ولكن عند حملي بأملي الوحيد فتحت قفل ذلك القفص وحررتني؛ فكانت أجمل أيام حياتي هي شهور حملي، مرّت كل لحظة من لحظاتي معها باستمتاع بتفاصيلها ونموها، بحركتها وإزعاجها، بكل ألم تسببه لي وكل المخاطر، كنت أعيش وأنا على ثقة تامة بأنها آخر أيام حياتي، فلَكُنّ أن تتصورنَ كيف مضت وأنا أتلذذ بكل يوم انتظارًا ليوم لقاءنا وانقاذها لي.

وها هو الآن قاربي الصغير ينتشلني من ظلمة هذا العالم، إلى عالمٍ مغاير، عالم لا يمتُّ للحياة الدنيا بشيء؛ لا مذلة فيه ولا إهانة! بل العكس تمامًا؛ إنّه عالمٌ مُفعمٌ بالرحمة والعدل والاتزان، عالم الموت والسكينة الحق!

هذا العالم الذي طالما أخاف الناس منه، لا شك أن العديد منكم يحذر من كل مسببات الموت؛ المرض، الحوادث، الحسد، الاكتئاب؛ هواجس مُخيفة ستظلّ ترافقكم، وقد تُفضي بكم لحبس أنفسكم في منازل بعيدة عن كل شي! وكأنكم تبعدون الموت عنكم!

ولكن شتّان بيننا وبين التحكم بالمصير!

فلا تدعوا الحياة تجرفكم نحو هواجس متعبة ومُلهياتٍ مدمّرة.

إن سألتموني عن سبب راحتي الآن سأقول: إنّ حكم الله هو الحكم العادل الوحيد؛ فبعد الموت سنخضع جميعًا للمصير ذاته، كلٌ حسب ذنوبه، فإن كنتُ على يقينٍ تامّ بأنني مظلومةٌ ولم أبتعد عن الله يومًا لمَ الخوف؟ أعتقد أنني كُنت بانتظارِ هذه اللحظة؛ علّها تُريح نفسي المتعبة وتُخففُ عنها وطأتها، سعيدةٌ أنا بقضاء ربّي، وسأنتظر اليوم الذي سأقتصّ به حقّي وحقَّ بنيتي من عيون الظالمين.

وأخيرًا ها أنا الآن أحلّق وابنتي لدار القرار أُطلقُ روحي وأُسلّمُ قلبي، وقاربَ نجاتي الصغير؛ طفلة رحمي لأرحم الراحمين..

كوثر حسن بادنجكي

اعتادت الصمت

حتى بات الكلام عجيبًا

سدرة حسن بادنجكي

نغمة ألم

أغمضت نغم عينيها واستلقت على السرير وقالت: أريد الاختفاء، أريد التحليق كطير الهدهد إلى عالم آخر بعيد ومختلف عن عالمنا هذا. ألا نرى في الأفلام الكرتونية تلك الأماكن الخيالية؟ نعم هذه التي أريد الذهاب إليها.

سأسير بهدوء فوق العشب الأزرق، بين الأشجار الملونة التي تتساقط منها قطع (المارشميلو) الوردية، والسكاكر الملونة، سألتقط قطعة (مارشميلو)، ثم سأغمض عينيّ وأتناولها بهدوء وتلذذ، ثم سأفتح عينيّ بعد أن أتلذذ بتلك النكهة الخيالية وسأبدأ بالركض واللعب مع الفراشات الزاهية بين زهور عباد الشمس، وأنا أحمل بيدي سلة من السكاكر اللذيذة، ثم سأركض نحو النهر المليء بالفواكه الغريبة والمنعشة، سأشرب من النهر حدَّ الارتواء، ثم سألتقط تفاحة، وأستلقي فوق العشب الأزرق وأغمض عينيّ لأنصت لطائر الهدهد المغرّد، وآخذ نفسًا من الهواء النقي، سأستنشق رائحة الفراولة، إلى أن أغفو، يا ألله كم سأكون سعيدة.

كم أن حلمكِ جميل، هل تريدين اصطحاب أحد معك إلى هذا الحلم؟

أعاد هذا السؤال نغم إلى واقعها، وقالت قبل أن تفتح عينيها: نعم.

مَن؟

فؤاد، و

و؟

نهضت نغم وقالت: أعتقد أن جلستنا انتهت اليوم أيتها الطبيبة أليس كذلك؟

كما تريدين عزيزتي نغم يمكنك الانصراف اليوم، ما رأيك أن يكون الموعد القادم يوم الخميس في التوقيت ذاته؟

بإذان الله، أشكركِ أيتها الطبيبة هبة، إلى اللقاء.

إلى اللقاء.

غادرَت نغم العيادة وانطلقت إلى الشاطئ بعد أن اشترت كوبًا من القهوة، وأخذتْ تمشي فوق الرمال تنظر نحو الأطفال الذين يمرحون، مسحت دموعها التي تساقطت فجأة، ورفعت صوت الموسيقى ثم وجهت نظرها نحو البحر والأمواج المتسابقة، تمامًا كالأفكار التي كانت تأكل دماغها.

حاولت السيطرة على نفسها وطردت الأفكار بعيدًا عنها، وفي تلك الأثناء شهدت صراعًا بين طفلين، أدى إلى سقوط أحدهما على

الرمال، فأسرعت نحوهما وقلبها يخفق بقوة، ساعدت الذي وقع وشرعت تصرخ في وجه الآخر حتى أتت أمه مهرولة وأمسكت بيد ولَدَيها ثم قالت: من أنتِ لتصرخي على طفليّ؟

ليس المهم من أنا، لمَ لا تنتبهين على طفليكِ؟ ألم تري كيف أوقع أحدهما الآخر؟

أمسكت المرأة طفليها وغادرت وهي تنظر إليها نظرات مريبة، وفي تلك الأثناء رن هاتفها، نظرت نظرة إليه ولم تجب، ثم رن مجددًا ومجددًا، أخفت صوته ورشفت رشفة من القهوة، ثم أغلقت عينيها محاولة العودة لصوابها، ولكنها لم تنجح، توجهت نحو الأمواج وبدأت تسير بخطوات متلاصقة، كسلحفاة تزحف نحو ثقب أزرق، كلما اقتربت أكثر شعرت براحة أكبر، كانت تستنشق الهواء العذب، تسحبه إلى أعماقها، تبتسم وتذرف الدموع، دموع الفرح! وكأن عذابها سينتهي بعد عدة دقائق، ولكن قطع نشوتها صراخ فؤاد:

نغم، نغم، ماذا تفعلين؟! توقفي.

ثم أمسك يدها بقوة واحتضنها، لم يكن يحتضنها هي، بل كان يضمّ ألمها! وأخذ يبكي معها، حتى انهارت بين يديه وسقطا في المياه سويةً، وامتزجت القهوة بالدموع والأمواج، وتجمع الناس أمامهما كما لو أنهم يشاهدون مشهدًا تلفزيونيًا مؤثرًا، لكن الفرق هنا أنهم يرونَ المشاهد أمامهم بشكل مباشر.

كانت نغم تأخذ أنفاسها بصعوبة، تنظر إلى السماء وبالكاد ترى، فسَيَلان الدموع غمّش بصرها، وربما ابيضتْ عيناها من الحزن، وقُطعت حبالها الصوتية فانكتم صوتها، كان فؤاد -وهو زوجها ورفيق دربها، وكان الظهر الذي تستند عليه كلما غلبَتها الحياة وتفوقت عليها-، يضمها إلى صدره كطفلة صغيرة تائهة في الحياة، لا ملجأ لها سوى حضنه، ضمها وبكى قائلًا: لماذا تفعلين هذا يا نغم، لماذا؟ إلى أن غَفَت في حضنه وحُضْن الأمواج، لا أدري هل كانت أمواج من القهوة أم من الدموع، أم من المياة المالحة! بعد أن غفت حملها وهَبَّ إلى عربته.

استيقظت نغم بعد وصولهما إلى البيت بعدة ساعات، فتحت عينيها وحاولت أن تبتسم عندما وجدت فؤاد يراقبها ويبتسم لها، قبّل رأسها وقال لها:

هيا إلى الطعام، لقد طلبت البيتزا كما تحبينها.

استسلمت نغم لطلبه؛ لأنها تعلم بأنه متعب من تعبها، تناولا طعامهما بصمت قاتل! وبعد الانتهاء حملت نغم الأكواب إلى المجلى وقامت بغسلها، ثم أعدت كوبين من القهوة وعادت إلى مكانها، وفؤاد كان قد نظف الطاولة، أخذ كوب القهوة واقترب من نغم وقال: كيف كان موعدك الأول؟

جميل.

ماذا فعلتَ بعد أن أوصلتني إلى العيادة؟

ذهبت إلى الشركة لأقابل أحد الزبائن.

ثم صمتٌ دام لدقائق عدة متوترة، ومحترقة، قامت نغم بقطعها هامسةً: أعلم أنك تعبت من اللحاق بي في كل مرة، لست مجب...

لن أسمح لكِ بإكمال جملتك تلك يا نغم، كفى! لن نعود في كل حادثة للجملة نفسها، لست معك لأنني مجبر، بل لأنني أحبكِ.

ولكنني لن أُشفى!

أمسك يدها وقال: ثقي بي، ستمر هذه الأيام.

امتلأت عيناها مجددًا وقالت: لقد مرت سنتان على تلك الحادثة!

عانقها فؤاد كما يفعل دائمًا عندما تضعف وطبطب عليها قائلًا: ستمضي يا عزيزتي، ستمضي.

لدي موعد يوم الخميس، في الوقت ذاته.

هل يمكنني انتظارك خارجًا هذه المرة؟

هل تخاف من محاولة انتحار أخرى؟

لا، لا أريد أن أبتعد عنكِ فقط، لقد اشتقت لكِ كثيرًا اليوم.

ارتسمت بسمة باهتة على وجهها، وقالت: "كذبك حلو".

كم اشتقت لضحكتك تلك!

أيقظ فؤاد نغم صباح يوم الخميس، وكان قد أعد الفطور لها كعادته، وبعد الانتهاء من الفطور انطلقا إلى الموعد المنتظر، وعندما وصلا صعدا معًا في انتظار سماع جملة "نغم الطبيبة بانتظاركِ" كانا في أتمِّ التوتر، والقلق ظاهر جلي على وجهيهما.

صمت حالك ساد في الغرفة، إلى أن سمعا تلك الجملة التي كانا بانتظارها على أحر من الجمر، أمسك يدها وقبل رأسها وهمس في أذنها: لا تخافي، عزيزتي.

كيف حالكِ يا نغم منذ لقاءنا السابق؟

بخير الحمد لله، ماذا عنكِ طبيبتي؟

الحمد لله، يبدو أن معك مرافقًا اليوم...

نعم، إنه فؤاد، زوجي، ابتسمت ابتسامة حزن، وشفقة على نفسها وقالت: أعتقد أنه يخاف من محاولة انتحار جديدة.

تبدل لون الطبيبة، ارتبكت وقالت في نفسها: ما القصة التي تنتظرني هذا المرة؟! حاولت أن تخفي ارتباكها وقالت: متى كانت آخر مرة؟

بعد أن خرجت من العيادة -في المرة الماضية- بعشر دقائق تقريبًا.

لماذا فعلتِ هذا؟

كانت لحظة فقدت فيها وعيي، ولحقت طيف شخص أحبه.

مَن هو؟

أغمضت عينيها وقامت بطقطقة أصابعها، أخذت نفسًا عميقًا وقالت هل يمكنني الحصول على كأس من الماء؟

بالطبع، تفضلي.

شربت الكأس، وحاولت الحفاظ على ثباتها وقالت: كان طيف طفلي.

نهضت الطبيبة من مكانها وجلست في مكان مقارب لنغم، وقالت:

ما رأيك أن تحكي لي اليوم كيف تعرفتِ على فؤاد؟

شعرت نغم براحة قليلًا وقالت:كنت أدرس الحقوق في السنة الرابعة، عندما قابلته أول مرة...

2012، لبنان

مرحبًا يا آنسة نغم.

عفوًا، من أين تعرف اسمي؟

أنا فؤاد، أعمل في الشركة المقابلة للجامعة، وأشار بإصبعه إلى نافذة مكتبه وقال: وهذا مكتبي.

تشرفت بك، ولكنني لم أحصل على إجابة سؤالي حتى الآن!

أعتقد أنك تحبين القهوة، أليس كذلك؟

وقبل أن أنطق، أكمل قائلًا: هل تقبلين دعوتي لشرب القهوة في المقهى المقابل؟

قبلتُ دعوته؛ حيث إن الفضول كاد يقتلني، وعاصفة من الأسئلة تقبع في رأسي، جلسنا، وطلب فؤاد كوبين من القهوة، الغريب أنها كانت القهوة التي أطلبها كل اليوم!

كيف؟ من أنت؟ نهضتُ غاضبة من تصرفاته الواثقة.

اصبري بضع دقائق وسأشرح لكِ، رجاءً.

عدتُ لمكاني وحاولت الحفاظ على هدوئي.

أنا أراقبكِ منذ أربع سنوات! ليس غريبًا أن أعرف اسمكِ، ونوع قهوتكِ المفضلة، بل وأعرف مكان بيتكِ.

ليس من حقك أن...

رأيت بكِ شيئًا غريبًا، لديك ريح غريبة تهب خلفكِ، وكأنني كلما رأيتكِ قلبي يقفز من مكانه!

نهضتُ من مكاني وغادرتُ المكان مسرعةً، دون أن أنظر خلفي.

وفي اليوم التالي لم أدري لمَ رفعت رأسي لأنظر إلى نافذته، ولسوء حظي رأيته ينظر نحوي، فاحمرّ وجهي وغادرت المكان بسرعة، وفي

بداية الأسبوع الثاني رفعت رأسي مجددًا وفي قلبي شعور لا أعلم ما هو! كان التصرف خارجًا عن إرادتي، ولكنني لم أجده ينتظرني كما حدث في الأسبوع الماضي فغضبت من نفسي ومنه لا أدري لماذا أيضًا! ولكن صوته فاجأني من الخلف يقول:هل تبحثين عني؟

وجدته ينتظرني مع كوب القهوة أمام مدخل الجامعة، نظرت إليه نظرة غاضبة وقلت: ما المناسبة؟

فمدَّ إليَّ يده بكوب القهوة، فأخذته ورميته في القمامة، وغادرتُ مسرعة كعادتي عندما أهرب منه.

إلى متى ستهربين مني؟

من قال أنني أهرب؟ لا أريد التحدث مع رجل متملق مثلك فقط.

متملق؟

نعم! لدي محاضرة، وداعًا.

قاطعتها الطبيبة قائلة: ما الذي حدث بعد ذلك؟

ظل يلاحقني حتى انتهت السنة الرابعة بزواجنا.

يبدو أنه يحبك كثيرًا.

وأنا أحبه.

حاولت الطبيبة العودة إلى مسألة الطفل فقالت: ماذا سمّيتما طفلكما؟

الأول: لؤي، والثاني: ليث.

لم أكن أعلم أن لديكما طفلين.
...
طيف من رأيتِ؟

طأطأت رأسها نغم، وبلعت ريقها وقالت: ليث.

حاولت الطبيبة الحفاظ على ثباتها وقالت: وماذا يفعل لؤي الآن؟

نائم، إنه في غيبوبة منذ سنتين، ثم بدأت ترتجف وتبكي.

انتظرتها هبة حتى تهدأ ثم قالت: يمكننا أن نكمل حديثنا في المرة القادمة، ما رأيكِ؟

وفي اليوم التالي ذهبا إلى العيادة، وأول ما دخلت نغم الغرفة، قالت: لماذا نشعر أحيانًا بأن الحياة صعبة لهذه الدرجة؟ أشعر وكأنني أحمل جبالًا على ظهري لأنني أتنفس فقط!

الحياة مليئة بالامتحانات والدروس يا نغم.

إن امتحاني صعب يا طبيبة، لا أعتقد أنني أقوى على إكماله، هل أستطيع الخروج في منتصفه؟

أنا متأسفة لكنكِ لا تملكين فرصة الخروج منه، أنت مجبرة على إكماله حتى آخر قطرة قوة تملكينها، وكل إنسان امتحانه على قدر قوته، وصبره وعزمه، وعلى ما يبدو إنك قوية جدًا حتى وُضعتِ في هذا الامتحان.

ربما انتهت آخر قطرة قوة عندي! ألا أملك حق الانسحاب؟

مجيئكِ إلى هنا وحديثك هذا يدل على أن الوعاء ما زال مليئًا، قوتك الجبارة لم تنتهي، وقلبك الأبيض ما زال مليئًا بالحياة.

متى سينتهي الألم، وسأنسى كل ما حدث؟

لن تنسي، لا يوجد شيء اسمه النسيان إلا إذا أصبتِ بالزهايمر! لن تُرمى الذكريات من رأسكِ، لا يمكنكِ رميها وإكمال حياتك، ولكن بإمكانكِ التعايش معها، ولا بد أن تعيشي الحزن والألم الذي تسببت به الحادثة، والوقت كفيل بتقليل الألم، وأنت في خضم حزنك سيمر الوقت وسيخف الوجع، لن ينتهي بشكل جذري بالطبع، لكنه سيخف لا محالة.

ماذا سأفعل كي يمر الوقت؟

أولًا تحلي بالإيمان فالله سيعوضك، وتمسكي بفؤاد، تمسكي بالحب الذي يحمله في قلبه والذي تحملينه بقلبك.

لا أستطيع التحمل أكثر.

لأنكِ تكتمين، ولا تتحدثين مع أحد.

صحيح، فمنذ تلك الحادثة لم أتحدث مع فؤاد إلا نادرًا، ولم أزر أحدًا أبدًا.

لا تكتمي بكاءكِ، ولا تخفي مشاعرك، من الطبيعي أن تحزني وتتألمي، لن يلومكِ أحد.

لا أحب التكلم عندما أكون حزينة.

لمَ لا تبحثين عن أمر يريحك تفصحين فيه عن مشاعركِ دون أن تتكلمي؟

مثل ماذا؟

فكري بما تحبين أنتِ..

أحب الطبخ، العمل، والقراءة والكثير من الأمور.

لمَ لا تمارسينها عوضًا عن البكاء وحدك؟ فيكون معك شخص خيالي يشاركك ألمك.

يا ألله مرت سنتان وأنا جالسة في العتمة! لا أطبخ ولا أعمل.

هذا ما أحاول إيصاله لكِ، اذهبي للعمل، أو مارسي التمارين الرياضية، اقرأي كتبًا، اقرأي قصصًا للؤي وهو نائم لا بد أنه يسمعكِ.

ابتسمت وقالت: أنا أنام بجانبه كل يوم، هو الشخص الوحيد الذي أتحدث معه.

قالت هبة في نفسها: عليّ أن أسألك هذا السؤال الآن، هيا تمالكي نفسكِ يا هبة، ثم قالت: ماذا حدث قبل سنتين يا نغم؟

بعد سماعها السؤال صفنت قليلًا ثم أخذت نغم فجأة تضرب نفسها وتبكي وتصرخ بشدة: لا يا لؤي لا يا ليث، اهدآ.

وكأنها ترى حادثًا أمامها! ركضت هبة وعانقتها لتهدئ من روعها، وبعد دقائق عدة من الصراخ والنحيب هدأت نغم وقالت في لحظة لم تتوقعها هبة:

لقد أنجبت توأمًا من فؤاد بعد زواجنا بسنة وبضعة أشهر، لؤي وغيث، آه لو تريهما كانا آية في الجمال، كأنهما فؤاد! ولكنهما لم يشبها بعضهما بالتصرفات فكان غيث لطيفًا هادئًا يبكي دون إصدار صوت، أما لؤي فكان طفلًا مشاكسًا يلعب كثيرًا ويصرخ بشدة، وكان يأخذ ألعابه بعيدًا عن غيث ويأخذ ألعاب غيث أيضًا، كانا يتشاجران على الدوام بالتحديد عندما وصلا إلى سن الخامسة.

تنهدت نغم تنهيدة ألم، وشربت كأس ماء آخر وقالت: في يوم من الأيام كنت أعمل على قضية صعبة وكنت قد سهرت حتى بزوغ الفجر منهمكة في العمل ولم أنم سوى سويعات قليلة، واستيقظتُ على صوت صراخ فؤاد!

نهضتُ غاضبة ومتعبة لا أرى بعينيّ جيدًا، خرجت من غرفة النوم نحو السلالم، لأرى في الأرض طفليّ في بركة من الدماء.

أخذت ترتجف وترتعش، وقالت: استيقظت في المستشفى بعد يومين، ظننت أنني كنت أحلم فنهضت مسرعة وقلت: غيث، لؤي، ولكنني لم أكن في غرفتي، وكانت أمي تبكي بجانبي، اقتربَتْ مني وعانقتني، فأيقنت أنني لم أكن أحلم، ابتعدت عنها ودخلت في حالة من الهذيان والصراخ، وبدأت ألقي عليها الأسئلة واحدًا تلو الآخر، حتى دخلت الممرضات، وحقنوني بإبرة مهدئ، واستلقيت على السرير، وأنا أبكي وأنتحب، كانت قواي قد انهارت، ولم أعد أقوى على حراك حتى إصبعي، اقتربت أمي وقالت: لقد فقدنا غيث، ولؤي ما زال في غيبوبة.

أريد أن أراهما أرجوكِ.

مسحت أمي على رأسي وقالت: نامي الآن، وسيأتي فؤاد بعد قليل، وبعد ساعات عدة استيقظت مرة أخرى لأرى فؤاد يبكي بجانبي.

حبيبتي؟

أريد أن أراه، للمرة الأخيرة.

لكن.

أرجوك.

أخذني إلى الغرفة التي يضعون فيها الموتى، دخلتُ ممسكةً يد فؤاد، وقلبي ينتفض، وكلّي أمل أنني لن أرى غيث، لا أدري لمَ أخدع نفسي، ربما لكي أقوى على كشف الغطاء عن وجهه! ذلك الأمل بعدم رؤيته تحت الغطاء الأبيض هو الذي دفعني للدخول إلى الغرفة، تمسكت بالأمل وبفؤاد وكشفت ذلك الغطاء اللعين، لقد كان يغطي وجه طفلي! كان جسدي كله يرتعش، لقد كان غيث متجمدًا، شاحب الوجه، لا يتحرك! كعادته؛ في الحقيقة هو لا يتحرك كثيرًا ولا يتذمر، فقط يلتجئ إلى حضني عندما يحزن، لكنني هذه المرة أنا التي لجأت إلى حضنه! ناديته كثيرًا وقمت بهزه لكنه لم يشعر! "استيقظ يا غيث، استيقظ يا حبيبي، ماما هنا هيا افتح عينيك"، لكن لا جدوى!

وبعد أيام عدة من الدفن والعزاء وما إلى ذلك، سألت فؤاد لأول مرة: كيف حدث هذا؟ ذهب ليحضر الحاسوب، وشغله على مقطع التقطته كاميرات المراقبة الموجودة في المنزل، فكان فؤاد يسافر كثيرًا، ووضع الكاميرات كي يراقبنا ولا يشتاق إلينا.

كانت الساعة الثامنة صباحًا فؤاد في عمله، وأنا نائمة من شدة التعب، وكان من المفترض أن أكون مستيقظة لإعداد الفطور لطفليّ فكنت أعلمهما الاستيقاظ باكرًا على الدوام، استيقظا كعادتهما واتجها نحو المطبخ ليشاهدا أمهما تعد الفطور، ولكنها لم تكن موجودة! أخذ لؤي تفاحة من البراد وقال لغيث: ربما ماما متعبة اليوم، ما رأيك أن نأخذ التفاحة إلى غرفتها وتكون فطورنا؟ وافقه

الرأي بالطبع، وأخرج غيث السكين، وركض فلحقه لؤي غاضبًا وقال: هذه فكرتي أنا من سيحمل السكين انتظر، وتشاجرا أثناء صعودهما السلم ف... آآه يا إلهي كيف لم أشعر، الذنب ذنبي، ليتني مت أنا. وأخذت تضرب نفسها، ثم رفعت رأسها وقالت: يا إلهي خذ روحي وأعد طفلي إلى الحياة، وعادت للشهيق والبكاء.

عانقتها هبة وقالت: توقفي يا نغم، توقفي أرجوكِ، هذا قضاء الله وقدره، لا تلومي نفسكِ.

لقد وقعا ودخلت السكين في جسد غيث، كيف تستطيع السكين تمزيق جلد طفل رقيق كغيث؟ كيف! وأما لؤي فدخل في غيبوبة إثر ضربة قوية على رأسه وإلى الآن لم يستيقظ!

والآن قولي لي يا طبيبتي كيف سأكمل حياتي وكأنني لست مذنبة؟ لقد تركت طفليّ وحدهما ونمت في الوقت الذي أعلم أنهما سيستيقظا فيه.

صحيح يا نغم لقد أخطَأتِ، ولكننا نتعلم من أخطائنا، خلقنا لنُخطئ ونتعلم، عليكِ أن تؤمني بالقضاء والقدر، اصبري يا نغم اصبري وسيعوضك الله.

شعرت نغم براحة بعد أن قصّت حكايتها على الطبيبة، وكأنها أزاحت همومًا بحجم الجبال عن قلبها، شعرت بإحساس الراحة، أخذت ذلك النفس الذي تأخذه بعد الركض لساعة متواصلة، ثم تتوقف

لأخذ استراحة؛ لقد أوقف الكتمان، والشعور بالذنب حياتها مدة سنتين! وها هي الآن تبتسم من جديد تودع طبيبتها وتخبرها بأنها ستزورها بصحبة لؤي بعد أن يستيقظ، وهي على يقين وإيمان قوي باستيقاظه، عانقت الطبيبة وغادرتها راكضة نحو فؤاد، عانقته وبكت، بكاء الفرح، ثم أخبرته بأنها تريد زيارة قبر غيث لأول مرة!

يُحكى أنها بعد شهرين زارت الطبيبة بصحبة لؤي، وأخبرتها بأنها تحمل في أحشائها طفلًا آخرًا من فؤاد...

سدرة حسن بادنجكي

يجب أن تدرك أن لا علاقة للتنمر بك مطلقًا؛

فالشخص المتنمر هو الذي يشعر بعدم الأمان.

أماني معتز عريم

القريب الغريب

التنمر من أصعب الأشياء التي نواجهها في مجتمعنا، إن كان من شخص غريب أو قريب، فهذا الشيء يُفقدنا شخصياتنا، قوتنا، مشاعرنا، وثقتنا بأنفسنا.

بدأت قصتي مع التنمر عندما كان عمري سبعة شهور، أُصبت بحرارة شديدة، ولاحظت أمي هذا، لكنّها لم تأبه لذلك، وقالت في نفسها: إنها حرارة عادية وستزول! ولكنها لم تكن تعلم أنَّ هذه الحرارة البسيطة كادت تفقدني بصري! فعندما ازداد الأمر سوءًا قررت أمي أن تأخذني للطبيب، فقال لها: إنّ مجرى الدمع لديها مُغلق وستواجه مشكلة في نظرها، قدر الله وما شاء فعل!

عندما كبرت قليلًا وأصبح عمري سنتان، اصطحبتني أمي للطبيب مرة أخرى، وهنا كانت الصدمة؛ فأخبرها الطبيب أنَّ لدي انحراف في عيناي، وارتخاء بالعضلات، قامت أمي بسؤاله مع بكاء شديد: هل لهذه المشكلة أي حل؟

أجابها: نعم بإجراء عملية، ولكن عليكم الصبر لتصبح في الثامنة عشر من عمرها.

خلال هذه السنوات واجهت العديد من الصعوبات من الأقارب والغرباء أو حتى من الأصدقاء! فأتذكر عندما ذهبت إلى المدرسة

لأول مرة، كان هناك العديد من الفتيات والأولاد فبعضهم من أحبّني، والبعض الآخر قاموا بالتنمر عليّ، وكانوا يتكلمون عني بالسوء؛ فيقولون: أنتِ لكِ أربعة أعين لأنني كنتُ ارتدي النظارات الطبية!

والبعض الآخر يقول: أنتِ لستِ جميلة!

كنت دائمًا ما أنتظر العودة إلى المنزل؛ لأدخل غرفتي وأجهش بالبكاء لأنه كان يريحني بعد سماع هذه الأشياء التي يقولونها لي، وكانت أمي دائمًا تُشجّعني، فتقول لي: أنتِ أجمل الفتيات.

أما أبي فيقول لي: كوني فخورة بنفسك، كوني واثقة بنفسك يا ابنتي، ولا تجعليهم يحزنونكِ.

عندها أدركت أن الثقة من أهم الأشياء بشخصية الإنسان؛ لأن أساسها الثقة بالنفس، ولأن الإنسان الذي لا ثقة لديه يجد دائمًا الحزن والإحباط والاكتئاب، لأن بعض الناس يجرحون مشاعرنا دون أن يأبهوا لها.

30/1/2020، تغيرت حياتي في هذا التاريخ، حين قمت بإجراء العملية، فهذه العملية صدقًا قامت بتغيري كليًا؛ حيث تغيرت حياتي للأفضل واختلفت نظرتي للحياة!

فالتنمر صنع مني فتاة شجاعة، لأنه يقوي الإنسان ليريه أنّ هذا المجتمع يوجد به الكثير من الناس الأشرار، منهم المتنمرين والحاقدين، ومنهم الكثير الذين لا يتمنون الخير لغيرهم.

هناك مقولة قالها لينت ماذر: "ماذا لو أن الطفل الذي تنمرت عليه في المدرسة نشأ، وتبين أنه الجرّاح الوحيد القادر على أن ينقذ حياتك"

وفي النهايـة أنصـح مـن هـم مـثلي ألا يكترثـوا لآراء أو تنمـر أحـد، وابقـوا كمـا أنـتم، ولا تخجلـوا مـن أنفسـكم، بـل هـم مـن علـيهم أن يخجلـوا، فـأنتم عظمـاء، وأنـتم قـادرين عـلى هـذا التحـدي، لأن كـلام النــاس مجــرد آراء وليســت حقيقــة، فالنــاس لاتكــترث لحزنـك أو موتـك إلا أيـام عـدة، ثـم يقومـون بنسـيانك! لـذلك لا تأبهوا لهم وكونوا أنتم الأقوياء الشجعان.

أماني معتز عريم

ربما الحنين للماضي صفحات تحوي الكثير من الغبار،

ربما إن لم نتذكر ما حصل لن نكون بخير،

ربما حب الوطن أثمن شعور نمتلكه.

لن نقف على حافة الحياة والأيام تعبر أمامنا كالسراب،

حتى وإن تغربنا؛ فذكريات الماضي أشبه بحبيبات سكر

نضيفها لتحلّي مرارة الغربة.

بثينه صالح محمد ميعاري

في رحاب الياسمين

سأعرفكم من خلال قصة أم أحمد وابنها الشاب المندفع للحياة على مدينةٍ عريقة غارقة بالقدم والجمال.

تستيقظ أم أحمد كعادتها باكرًا لتستمع إلى تغاريد العصافير التي تستيقظ قبلها، في فناء منزل أم أحمد تكتنز زرعًا كثيرًا من زهور الياسمين وأشجار الكبّاد التي تذكرها ببيتها في دمشق، الذي كان يحتوي على حياة بسيطة تفوق الوصف والجمال، فكان لها حياة أخرى وعالم فريدٌ وجميل لا مثيل له في أي مكانٍ في هذا العالم، تتأمل السماء الصافيه في الصباح، مع موسيقة عذبة تعزفها الطبيعة في هذا الفناء الجميل.

تعشق أم أحمد صوت خرير الماء وبرودته في الصباح لذلك تكون مسرورة حين تشارك هذه السعادة مع العصافير فيقتربون منها وتستقيم أزهار الياسمين وهي تشعر بالغيرة لتأتي أم أحمد وترويها فتشعر أوراقها بشيء من القشعريرة اللذيذة لتمتزج هذه الموسيقى مع نسائم الياسمين ورائحته الساحرة.

ابنها أحمد في العشرينيات من عمره ممشوق القامة، وسيم الوجه، حنطي اللون، هادئ وصبور، عاطفي بشدة؛ فقد اكتسب من أمه حبه وإخلاصه لوطنه، يدرس الإعلام، ويعمل بالوقت ذاته لكسب

لقمة عيشه هو وأمه، فهو متوسط الحال يذهب لمقابلات في إذاعة تلفزيونية.

هيا استيقظ يا حبيبي سيبدأ اللقاء بعد ساعه لن يتبقى معك الكثير من الوقت يا أحمد انهض يا أحمد.

يستيقظ أحمد مسرعًا، يبدل ملابسه، ويتدّرب على ابتسامة قادرة على إخفاء وجع غربته عن وطنه، يحتسي فنجان القهوة الممزوج مع الهيل المعتاد على شربه صباح كل يوم، ويتجه إلى مكان عمله الذي يبعد عن منزله عشرين دقيقة.

يبدؤون بتعديل الأجهزة التي يحتاجونها، ثلاثة اثنان واحد أكشن يبدأ اللقاء الصحفي بالمضيف، وإذا بالمذيع يسأله: ما الدافع الذي يجعلك دائمًا تتحدث عن ذكرياتك في دمشق المعروفة بمدينة الياسمين؟

يتنهد أحمد بحرقة، ويقول: الغياب يجعل القلب أكثر ولعًا وشوقًا فما بالك إن كان شوقي لشيء قد نُحِت اسمه في قلبي، وتخلّدت ذكرياته في مخيلتي، على الرغم من أنني فلسطيني الأصل وأفتخر بهذا كثيرًا؛ فلفسطين أيضًا مكان عميق في قلبي، لكن دمشق ليست فقط المدينة التي ولدت وترعرعت بها، بل هي النفس التي كنت أتنفسه، كما أنها عريقة وحضارتها تمتد إلى آلاف السنين.

فكان صباحها بلسم مليء بالحب والنقاء، مُعتّق برائحة القهوة، والمناقيش الشهية، وأصوات الجارات المجتمعة في أرض الدار وأصوات العصافير الغردة، تفاصيل يخفق لها القلب ويبكي متلهفًا لأرض السلام -دمشق- هي المحطه التي أثرت على عقلي فهي ياسمينة الدنيا، وأقتبس قول نزار قباني: "هل تعرف معنى أن يعيش الإنسان في قارورة عطر؟" كلما تحركت خرجت منها روائح الذكريات المخلدة في أذهاننا، دائمًا ما يدور في ذهني خواطر يومية لا تحصى، هل سأعود؟ وكيف سيكون اللقاء بعد كل هذه المدة؟ ياترى هل تغير شكلها؟ فلم أكن أتوقع قط أن أبيت أيامًا وشهورًا بعيدًا عنها!

كنت آملًا أن القادم أجمل، وأن الغربة لن تدوم طويلًا، لقد مرت خطاها ثقيلة ولكن ليس باليد حيلة! فها قد مضت السنين وأنا لا أزال مغتربًا عن وطني التي ستبقى ذكراه مخلدة في ذهني، وسأروي قصصه لكل الأجيال.

يُنهي المذيع اللقاء الصحفي، ثم يقف وقفة شرف وتحية لإخلاص أحمد لوطنه.

بثينة صالح محمد ميعاري

لا نستطيع أن نكون في هذه الحياة،

لقد حكم علينا بالقساوة و قتل الذات، فلماذا نبقى؟!

هل من قاض يحكم؟!

فاطمة محمد فوزي عبارة

هــوس

أصبحت أيامي كوضعية المشغول، أجد نفسي في عملي أكثر من منزلي، أعود متعبًا بعد يوم طويل، ظننت أنه لن ينتهي، تتراود في داخلي تساؤلات عن يومي، لأعود إلى عائلتي وأنا شارد بما أرى، أنا شاب على باب الله، مهنتي بسيطة، بساطتها بقدر احتياجها، فالهاتف لا يهدأ تذكيرًا بمهمة جديدة، مهنتي شرطت علي أن أكون بين الدماء والجثث، وأكون شاهدًا على جرائم كثيرة، رأيت أن خلف كل بيت توجد أسرار قد يكون خلفها جريمة قتل، كنت مرافقًا للأمن و المباحث في عملهم، فنصل إلى بقعة مجهولة، لنقع في دوامة أتت من المجهول، وأرى زملائي من الأمن يبحثون عن تفاصيل صغيرة بعد رؤية جثة قد قتلت بأبشع الطرق، وتبدأ الأعين كالعادة تبحث عن دليل، وأبدأ أنا بمسح تلك الدماء التي أريقت وما تناثر منها، كان هذا العمل قد رافقني لسنتين، وكنت أرى نفسي بطلًا في فيلم مغامرة وجريمة، حتى بدأت حياتي تتغير، وبدأ اللون الأحمر يصاحبني رغم بشاعة رؤيته، أدركت في كل يوم أنني أصبحت هاويًا للدماء، أصبحت هاويًا لكلمة قتل! وعندما بدأت أرى نفسي على هذا المنوال، علمت أنني بدأت الدخول في منطقة محظورة من حياتي!

أعود إلى سنة 1980، حيث كنت طفلًا في السادسة من العمر، ربما لم أكن ذاك الطفل يومًا ولم أمت له بصلة! كان هذا الطفل قد اختفى منذ ولادته ولم يبقى منه إلا ظاهره، عندما شهدت عيناي من قتل قلبي، من قتل فرحة عائلتي، و يبدأ ذلك الشيء يحتل عقلي، لا أعلم ما هو وما سره! شيء غريب يدور ويجول في رأسي أحسست به يقضي على خلايا دماغي، شيء يدفعني للإمساك برأسي بقوة، اعتدت تجاهل الأمر، وتداركته سريعًا، ولم أعطِه اهتمامًا!

جثة أمي بين يدي، كانت هي أول من أزلت دماءها من بين يدي، لأصبح بعدها صديقًا للدماء، سُجلت قضية والدتي ضد مجهول، رغم أنني كنت شاهدًا على قاتلها، ولكن صغر سني لم يثبت شهادتي! أو بالحقيقة ذكاء زوج أمي كان طاغيًا على كل شيء، فكما نقول خرج منها كالشعرة من العجين، لم يترك دليلًا واحدًا بأنه القاتل، لماذا قتلها؟ كنت دائمًا أطرح هذا السؤال وأعطي جوابه، فكأي أم كانت أمي تهتم بأبنائها، لكن هذا الرجل كان مجنونًا أو مختلًا عقليًا، لا يحتمل صوت طفل، فما بالكم بأطفال زوج زوجته السابق! لقد وضعت نفسي سببًا لجريمته، لاحقني طيفه في كل مرة أذكر ذلك المشهد، لكن هل تصدقون أن طفلًا صغيرًا سيصمت عن موت أمه؟!

كنت بعد موتها أعود إلى المنزل دائمًا، ليس محبة به ولكن لأتنعم برائحة أمي التي كانت في كل ركن من ذلك المنزل، كان سريرها الملجأ الوحيد الذي يحتويني، ملجأ كنت قد اعتدته مع أمي قفصًا، والآن

أعتبره منصة إعدام، ولا أسوأ من الحظ السيئ إلا الرضى به، بدأ الطفل يذوب داخلي شيئًا فشيئًا، ولم يتبقَ منه سوى ملامح الطفولة؛ التي كانت غطاءً لنضوجي في سن صغير، ركضت جاهدًا طيلة السنوات مخططًا للإنتقام من الذي قتل فرحة قلبي، حتى كبرت وبدأت العمل في تلك الوظيفة، كان من الصعب جدًا الوصول إلى تلك الخطوة، نازعت كثيرًا، وتعلمت الكثير، صمتت وكان لصمتي صرخة لاحقة، قد تهز عرشًا بأكمله.

تستفيق الذكريات، ويستفيق الهم، وتستفيق معه آلام شوق لمن رحل، شوق لأمي، أقطع ذلك الشريط من رأسي، باتصال جديد، انتحار طفلة، خرجت مسرعًا، لم أعلم لمَ أحسست بشيء يخصني تجاه تلك الفتاة، ركضت لمسافات طويلة حتى أصبح لهاثي مسموعًا، أحاول إيقاف سيارة لتقلني، لأن يداي لم تستطع الإمساك بالمقود، لأول مرة منذ بدايتي لمهنتي لم أرى نفسي مهتمًا لجثة لتلك الدرجة، أحسست أن من يركض إلى موقع الجريمة ليس أنا، وإنما ذاك الطفل الذي مات، ها قد عاد وجعلته يتخذ من جسدي وسيلة للوصول لتلك الطفلة، أركض و أنا منتظر سيدي الصغير ليبرر لي لمَ عاد؟ ولمَ هذه العجلة؟! لماذا تلك الفتاة؟!

ها قد وصلت، أعود لشخصي الحقيقي، أعود إلى منظف دماء الجثث، وأجتاح تفكير الفريق الجنائي و أقف في صفوفهم، لألحظ فجأة أنني فقدت نفسي، ويعود سيدي الصغير، يعود الطفل مجددًا

ويأخذني وجسدي إلى زاوية من البناء الذي رمت منه الصغيرة نفسها، لأجد بين يدي ورقة قد تلاحمت مع التراب، كُتب فيها: "اسمي نورا، إلى كل من سيقرأ هذه السطور، أنت تقرأ كلماتي بينما قد رحلت، خذ حقي، فأنا لم أستطع البوح! خذ حقي!"

أغلقت تلك السطور و أسرتها في جيبي، لأعود بين الأمن والزملاء وكأن شيئًا لم يكن، لم أستطع التحرك لم تتحرك سوى عيني التي نظرت للفتاة، أرى الجميع قد انهزم أمام سبب انتحارها، هل أعطيهم ما وجدت؟ وفجأة يقتحم تفكيري وترددي صوت بكاء قوي من داخل البناء، ليخرج هيكل طويل القامة وسط زملاء الأمن مقبوض عليه، إحساس غريب قال لي أن خلف بكائه مكر وخباثة! وعندما سألت زميلًا عنه، قال إنه زوج أم المتوفاة، ليعود الطفل بداخلي وينطلق هاجمًا عليه، كأنه بدأ بتنفيذ الوصية التي قرأها، لا أعلم لماذا ظهر الآن لمَ لم يبقَ عند وفاة أمي؟ لماذا الآن؟ أبقى منتظرًا جسدي أن يعود، تصبح يداي على عنق ذلك الرجل، حتى أراه يفقد أنفاسه،ركض الجميع نحوي لتهدئتي، لكنهم لا يعلمون أنني لست الفاعل إنه هو، إنه الطفل، صدقوني لم أكن المذنب!

كنت أتمنى عودتي أنا الطفل، لكن بعد هذا الحدث وفقدان سيطرتي على عقلي وجسدي، يبدو أنه قد حان وقت رحيله، أعود إلى منزلي وقد اختفى الذي في داخلي، لقد فكرت بالكثير وأول ما خطر لي هو كيف سأبرر لزملائي تصرفي، أعود والدنيا ظلام كاتم وأنا شارد فيما

حصل، ألتفت قليلًا على المقعد الذي بجانب السائق، وأرى طيف تلك الطفلة مبتسمة، لم أصدق ما حصل لكنني لم أخف! هذه الفتاة أعادت طفلًا مات في الصغر وهو الآن في جسدي، لففت رأسي مجددًا وكانت لا تزال مكانها!

حسنًا اذهبي!

هل أذهب قبل أن أشكرك؟ لكن لمَ لم تقتله؟

أقتل!! أقتل من؟

زوج أمي، لقد رأيتك كنت شجاعًا هناك.

أجبتها: نعم، عفوًا! ولكن ماذا الآن؟

الآن ستكمل ما بدأت به، أم أنك ترضى لطفلة مثلي أن تموت هكذا؟

وأين عائلتك؟ لمَ اخترتني أنا دون الجميع؟!!

لمَ أنت؟! لأنك تشبهني، أعلم بكل طفولتك، أعلم بزوج أمك الذي قتل والدتك ولم ينل جزائه.

تعلمين؟! هل تصدقيني؟ لقد أخبرتهم جميعًا لكن لم يصدقني أحد!!

ممسكة يدي: نعم أصدقك، أصدقك.

تحاول يداي الاقتراب وملامسة خديها الصغيرتين، لكن اختفائها كان أسرع، أستعد لدوامة من المجهول، كيف شاءت الصدف أن أجتمع أنا وطفلة في معاناة واحدة، ربما الفرق أنها ماتت، وأنني خسرت أمي، لكن لم أكن أدرك ما الذي يمكن أن يحدث بعد هذه الجلسة، أكمل طريقي للمنزل دون أي ردة فعل، أصل وأنا مصفر الوجه، فأدخل وأرى أخواتي وزوجتي في قلق كبير، هل يعقل أن يكونوا قد سمعوا بما فعلت، لا أظن ولا أتمنى ذلك، كيف سينظرون لي، أدخل جالسًا دون أي كلمة، حتى يتوارى لأذني أول سؤال عن سبب غيابي إلى هذا الوقت المتأخر، لم أستطع الرد، ربما فقدت النطق بعد الحديث مع الطفلة، ذهبت إلى غرفتي دون إعطاء أي رد، ويبدو أنني إن بقيت على هذه الحال فسأكشف أمام العائلة، أتصدر الكرسي الذي بجانب سريري وأنا ممسك رأسي بقوة لمرة أخرى، بدأت أرتاب كثيرًا من هذا الأمر، أدعو أن يمر الأمر على خير، أرى حالتي في سوء، لكن مازلت موقنًا أنني أبالغ، أجتاح الغرفة بتخيلات غريبة، تخيلت أمي أمامي، وتخيلت نفسي في صغري، وتخيلت الطفلة، وأدخلتهم في دوامة عميقة وكما قالت الصغيرة أننا مشتركان في المعاناة، لا أستطيع إيجاد منفذ خارج هذه التخيلات، أنتظر الصباح يحل وأرى ما سأفعل بما قمت به في ليلة البارحة مع ذلك الرجل، أنتظر عودة سطوع شمس جديد مع رجاء للبقاء في عملي دون أي ملاحظة من المدير، أنتظر ساعات حتى أصبحت السماء، أخرج ناسيًا أناقتي المعتادة، أستعد إلى فقدان ما أجد نفسي فيه، تستحوذني توقعات كثيرة بأنني لن أنجو،

ومازال طيف الطفلة يلاحقني، وعند ظهورها أفقد سيطرتي على نفسي ويصبح جسدي ليس لي، بل يتكلله ذلك الطفل الذي فقد أمه في الصغر، أصل إلى مقر عملي وأنتظر عقابي، أنتظر أنتظر، غريب لم يأتي أحد أو لم أجد التوبيخ!

هذه أنت؟!ماذا تفعلين هنا؟! هذا مكان عمل!

أنا من أقنعتهم لا تخف لن يوبخوك، ستبقى في عملك.

أنت؟! كيف؟ ولما فعلتي ذلك؟

أنت منقذي، لا أريد إيذاءك، أريد سعادتك سعادة أبدية.

لكن لمَ مازلتي هنا؟ اذهبي أرجوك.

سأذهب، صدقني، سأذهب يومًا ما، لكن لكل شيء وقته.

أرتاب كثيرًا من حديثها، ولكن يجب أن أرتاب أكثر من ظهورها للمرة الثانية، لم أستطع إعلان خوفي بعد، لم أستطع تصديق كلامها بأنها أقنعت مدير العمل، أتمسك بشجاعتي وأدخل مكتب المدير، هل تصدقون لأول مرة أراه يضحك! ما الأمر؟

أهلا بك اجلس اجلس لمَ أنت واقف؟

أنا؟ أجلس؟!

نعم أنت، هل هناك أحد غيرك؟!

ما الذي يحدث مع هذا المدير كأنها قامت بمسح ذاكرته!

قالوا لي عن شجاعتك مع تلك الطفلة لقد رفعت رأسنا.

أردّ وباستغراب: نعم شكرًا!

لقد خبأت لك وسام الشجاعة والتفاني.

أترك مديحه وأخرج من المكتب مستغربًا أكثر وأكثر، ماذا يعني وسام، وسام لأنني كدت أقتل شخصًا! ماذا يحدث للعالم! سأجن هذا أكيد، أعود إلى المنزل ماشيًا لعلي أنسى القليل مما رأيت، أعد خطواتي، وأنا منزل رأسي، حتى أصطدم بشخص، إنه نفس الرجل، أسرع في خطواتي لكي أتجنبه، إلا أنني أفقد التحكم رويدًا رويدًا؛ ليخرج الكائن الآخر من داخلي، يخرج الطفل أنا مرة أخرى! يبدو أنني لن أرتاح دون متاعب، أحاول التشاجر معه لإعادة نفسي والابتعاد عن ذلك الرجل، لكنني هُزمت! أحاول عكس الطرق، لكن إرادته كانت قد استولت علي بالكامل.

الغريب في الأمر أنه هدأ وبقي يلاحق للرجل، وأنا فاقد لجسدي منتظرًا عودتي، أكمل ملاحقتي له أو بالأحرى يكمل، حتى طالت الملاحقة واشتد الظلام، إلى أن يصل بنا الأمر إلى محطة البترول، يبدو أنه كان ينتظر أحدهم هناك، تستوقفني نفسي التي مازالت في مكانها، وإلى الآن أريد نفسي التي لم تعد بعد، قليل من اللحظات

أدرك نفسي متجهًا نحوه ليعاد مشهد خنقه، لكن هذه المرة بشدة أكبر، أحاول فك ذراعي من عليه، لكنه يمنعني!

أنت لا تتدخل انا أريد الثأر.

كيف لا أتدخل هذا جسدي! لماذا ظهرت الآن أمنا ماتت انتهى ما ذنبه هو؟؟

ذنبه أنه يشبه قاتل أمنا، ذنبه قتل صغيرة مثلما قتلني ابتعد.

لا تعلم العواقب أنت خلف الستار لن يضرك شيء لكنني أنا من سيُعاقب!

يقطع الحوار بيننا صراخ أنفاسه التي بدأت تذهب وتعود، حتى أجد شريكي في الجسد بدأ يظهر ضحكات الانتصار، يأخذ أنبوب البترول المطاطي ويلفه حول عنق الرجل، ويشد الرباط حتى احمر وجهه، ومازلت أشاهد جريمة ارتكبتها نفسي الأخرى! لأجد ذلك الرجل جثة ملقاة على الأرض، لكن لم تكتمل الجريمة بعد، حتى رأيت يداي تريق البترول على كافة جسده وأشعل النار فيه، في العادة أنا لا أحمل كبريتًا في جيبي! لذلك استغربت من وجوده معي هذه المرة؛ لكن نفسي الأخرى كانت قد خططت لكل شيء باحتراف متكامل، يسقط عود الكبريت على الرجل المبتل بالبترول وتشتعل الجثة حتى كادت تخفي جميع ملامحه، وقفت قليلًا لأتلذذ بهذا المشهد، فقد انقلبت كافة الموازين، وانقلبت مخاوفي إلى جرأة كانت مختفية، أنتظر دقائق

عدة حتى أتأكد من إخفاء كافة الدلائل، ومسح البصمات وما شابه، ولله الحمد تذكرت أمر كاميرات المراقبة التي كدت أنساها، فلحسن الحظ أنني أعمل في مجال يختص بالجثث وتنظيف دمائهم، لأستطيع إخفاء أي دليل، فأخذت الجثة إلى مكان آخر وقمت بتنظيف الدماء، استطعت الآن أن أرتاح من الهم والتفكير بما سيحدث لاحقًا، وتبدأ قدماي بالهرب، بعد أن وصلت إلى أقرب محطة للحافلة، رأيت جسدي قد عاد لي، لكن ما لم أستطع نسيانه هو القتيل الذي تُرك وسط ذاك المكان، لكن تذكرت بأنه في آخر اتصال له كان يتحدث مع صديقه، ففهمت خطة من يأخذ جسدي في إخراج نفسه من تلك الجريمة، لهذا كان يقول لي بأنني بخير ولن يحدث لي ما يضرني، هل هذا يعني أن جريمة القتل التي قمت بها أصبحت في ذمة غيري؟ لم أعلم لمَ كنت مرتاحًا وفرحًا، وأحسست بانتصار! أركب الحافلة بكل راحة دون أن أشعر بعذاب ضمير لما فعلته يداي، أصل إلى المنزل براحة تامة، أستطلع وضع من في المنزل، وأتسلل إلى غرفتي وحيدًا، لأنفرد مع ذلك الانتصار وبذلك التحول الذي بداخلي.

تمر ساعات وأنا في أفضل حالاتي وأكملت الحوار بيني وبين انتصاري بفنجان من القهوة، إلى أن يأتي اتصال يقطع علي ما أنجزت، أوه! إنه اتصال من العمل، يبدو أنه قد حان دروي.

نعم، السلام عليكم، فلتأتي حالًا إلى منطقة عين ورد، شارع رقم 34 إلى محطة البترول.

أرد متلعثما: م.. م.. مح ..محطة البترول.

نعم محطة البترول، أسرع قليلًا كدنا ننتهي من فحص الجثة.

أغلقت الخط و أنا في رعب شديد من أن يكشف أمري، يذهب كل ذلك الجهد سدى، وتذهب كل تلك الشجاعة، أحاول الاستيقاظ من هذا الوهم، بل أحاول الاستيقاظ من الواقع، وأنتظر شخصي الآخر لأرى ما الذي سيفعله، كنت مستعدًا لتنفيذ ما سيقول، لكنه لم يتغلغل في جسدي بعد، هل غدر بي وذهب دون عودة؟! أخرج من البيت وأترك داخله كل توتري؛ كي لا يظهر علي أي شيء، أحاول الإسراع، أريد أن أصل قبل حدوث كارثة لا أتوقعها، أذهب ومقودي وأتصارع مع السرعة لمدة لا تقل عن الساعة؛ لبعد ذلك المكان، فكما يقولون في أي جريمة قتل تود أن تقوم بها يجب أن تختار المكان المناسب.

يعود طيف الطفلة وتعود تلك الابتسامة البريئة والفرح، وتقول: لقد أخذت لي حقي فعلًا، لماذا أنت خائف، لا تظن أن أحدًا سيمسك بك وأنا هنا! هل تعلم أنك تأخذ موضع أخي الكبير؟

لا تقلقي؛ فلن أخَاف بعد الآن، لقد أخرجت الكثير من الأمور التي كنت قد خبأتها في قلبي، لقد أخرجتني وأنا طفل، بدأت أرى نفسي بروحين، روحي وأنا كبير وروح الصغر المليء بالشقاوة.

الطفل: اعلم أنني سأبقى مرافقًا لك يا سيدي.

يعود تركيزي إلى الطريق، وأترك ذلك الطيف الجميل بجانبي، وصلت إلى وجهتي حيث الجميع، أنزل وأفتح الباب للطفلة، فكان وجودها معي قوة لي، وكنت أريد أن أريها ماذا حل بمن جعلها تفكر بالانتحار، أقف بين الجموع حتى أصل إلى صف الأمن الجنائي، وأسجل حضوري، وتبقى الصغيرة ممسكة يدي، تلك الطفلة الغير مرئية، تنظر تلك العينان الصغيرتان إلى قاتلها، وتهل علي أحضانها البريئة، كنت أسيرًا بين عملي وجريمة القتل وهذه الصغيرة، للحظة توقف كل شيء أمامي لأفكر بنهاية لهذا الموضوع، وبعد عشر دقائق من الصمت، يقطع علي تفكيري أمر من الرئيس بالبدء بإزالة الجثة وتنظيف الدماء، كانت يداي قد لامست هذا الشخص مرة أخرى لكن هذه المرة لتنظيفه ودفنه، وأثناء ذلك وقعت مسامعي على حديث المحققين، لأجد أنه لا جدوى من البحث عن القاتل، فكل الدلائل مختفية، لكن الشك في أصدقاء الضحية، ارتاح قلبي وعاد كل تركيزي عليه، لم أتأثر بقتله فقد أسرتني فرحة الطفلة وأحيَت داخلي ما تُرك في الماضي، فأكمل عملي، وأنا مرتاح من أي مسائلة قد تأتيني،

تمد الطفلة يدها في الدفن، فتجلس على قدميها الصغيرتين، وتنثر الرمال في ذلك القبر، لتغطي كل شيء.

انتهى عملي هنا ربما، لكن بدأ شيء جديد في داخلي، ويعود ذلك الشيء في رأسي، ذلك الذي يقتل خلايا دماغي ويلعب بأفكاري، بدأ الهوس يتزايد ونفسي تطلب المزيد والمزيد، أين المزيد؟ أعطوني المزيد، لا أعلم ما الحل لما في داخلي، هناك شيء يريد الخروج الآن، أصبح مجهولًا، إما أنا أو ذلك الطفل الذي عاد واستحوذ علي، تتقابل طرقنا بشكل مخيف، لن أستطيع الاختباء خلف هذا الأمر، حتى عائلتي بدأت بالابتعاد، يومًا بعد يوم أكتشف أنني سأقع في هاوية، أصبحت الوسيط بين كل شي، بين نفسي والنسخة الأخرى مني، بين طفلة وقتيل، أترك ذلك المكان وآخذ يدي بيدي صغيرتي وأقلها إلى المكان الذي يجب أن تعود له؛ 2018/6/15 مقبرة أيلول، أعيدها إلى قبرها لترقد بسلام، أنزل وذلك الطيف لنمر من ذلك الممر الذي حضن الموتى بعدما رحلوا، أبحث عن قبرها.

نعم إنه هناك تعالي يا صغيرتي.

هل ستبقى موجودًا؟ أم أنك سترحل بعدما أدخل إلى هناك؟

لا سأبقى، وستبقين في ذاكرتي يا صغيرتي لن تموتي أبدًا.

اتركني هنا وأنت مطمئن لقد اكتفيت، وأخذت ما أريد.

سآتي لزيارتك كل فترة وسأخبرك بكل ما يحصل معي ارقدي بسلام.

هل تعدني؟!

أعدك ولن يضيع الوعد أبدًا، وسآتي كل فترة لأروي لك قصص جميلة، أضع يدي على رأسها وأبقى بجانبها حتى يميل رأسها لقبرها وترقد، نومًا هنيئًا صغيرتي.

أخرج من ذلك القبر تاركًا وجهي الضاحك، لقد ذهبت قوتي مع رقودها، أعود وحيدًا كعادتي، لتتضاءل رغبتي في العودة للمنزل.

في وحدتي سائر والطريق، أثار مسمعي ضجيج قوي، يلهيني عن وحدتي، أتسلل وخطواتي لأرى أن مجموعة شباب فقدت نضوجها واستقوَت على شخص بسيط لأخذ ما يملك، استمع لحوارهم ويمر أمامي مشهد التعذيب ذلك، استمر الضرب لذلك البسيط ما يقارب دقائق عدة ليسقط من بين يديه كل ما جمعه من قوت اليوم، ويضيع بين نفوسهم الضعيفة! قليل من الوقت ويذهبون ضاحكين مستهزئين، أركض إليه ولكن ليس كمنقذ، بدأت أتفحص المكان وأتأكد من خلوه، حتى أدركت أنه فارغ تمامًا، حاولت تثبيت بصمات أولئك الشباب على ملابسه، رأيته فاقدًا أمل العودة للحياة، أدركت أنني سأساعده وأشبع مافي داخلي، أحاول الحديث معه جاهدًا لكن يبدو أن سكرات الموت كانت قريبة منه وأخذت منه نطقه قبل روحه، كنت أود تحقيق أمانيه قبل أي شيء، أخذت كل معلومات عائلته، اقتنعت أن ذلك قد يكون همه الوحيد، أبقى بجانبه قليلًا، لأكون شريكًا مواسيًا لموته، لكن وقتي انتهى، بمجيئ شخصي الآخر

قاتلًا رحمته، ممسكًا بعنقه، مبتسمًا! بقيت تلك اليدان أسيرتان حوله حتى تأكدت من انتهاء مخزون هوائه، انتهى عمله الآن، حان دوري في الدفن، أحاول جاهدًا التأكد من ارتياحه الآن.

لقد ساعدتك، أنت تعلم أنك لن تستمر في هذه الحياة القاسية، لقد ارتحت يا عمي، لن يفوتك شيء من هذا العالم سوى مرارته، أهلك الآن في أمانتي لاتقلق، رحمك الله.

أعطيه الوداع الأخير، كنت قد فكرت في دفنه، لكن قتله قد أراحني قليلًا، فقد كان رأسي يؤلمني منذ الصباح وقتله كالمسكن، لو لم أقتله كنت سأقتل غيره، لا أعلم ماذا بعد، لكن الأكيد أن مسكّن ألمي هو قتل أحد ما، لا أريد دفنه، يجب لأحد أن يعلم به، ليعاقب من ضربه، لا سأتركه تحت شجرة و سأجعل أولئك يعاقبون على فعلتهم، لكن كيف سأعطي إشارة للأمن الجنائي لكي يصلوا إليهم؟ كيف؟

هل أكون شاهدًا على ما حصل؟ لكن ماذا إن وضعوا الذنب علي؟ ماذا أفعل الآن؟ حسنًا سأتصل بالإسعاف وسأُعد نفسي شاهدًا، وأذكر أنني سأعرف من الذين قاموا بضربه لكي أخرج من الأمر، نعم هذا هو الحل الوحيد الذي سيبعد الشكوك عني، أمسك هاتفي وملامسي المرتجفة تلامس الشاشة لطلب رقم الإسعاف.

الإسعاف!!؟

نعم تفضل أخي.

يبدو أنه يوجد هنا حالة وفاة، أنا أعمل مع الأمن الجنائي أتمنى حضوركم سريعًا.

أعطني العنوان سريعًا.

منطقة سحاب شارع رقم 20، يوجد شجرة كبيرة في بداية ذلك الشارع نحن هناك.

حسنًا سنبقى على تواصل معك.

أغلق الخط وأنا أحاول استعادة قوتي لكي لا يشك بي أحد، أحاول أخذ القليل من الدماء من على جسده لكي يظنوا أنني حاولت المساعدة، أنتظر و أنا أحاول الرجوع والعودة من حوله، مرت 10 دقائق لوصول الإسعاف، أتصل أيضًا بفريق عملي، هكذا أثبت براءتي، أعود إلى زمام مهمتي في تنظيف دماء الجثة ودفنها بعد أن أكد المسعفون أنه مُتوفى ولا يوجد سبيل لأخذه إلى المستشفى، روحه فُقدت وأصبحت في أمانة الله، وبعد أن أكد فريق عملي أخذ البصمات، قمت بدفنه مع ابتسامة جانبية خبيثة، لقد كنت في أتم الاستعداد للمزيد، عندما أنهيت كل شيء تمامًا، أدركت أنني لم أنتهي بعد فيجب علي الآن أن أشهد على الذين قاموا بضرب جسده النحيل، لقد فكرت بأن هذا الشخص كان صدفة لإشباع ذاتي، لكن عندما أريد المزيد أين سأذهب، ما الذي سيسكن ذلك الهوس؟ ذهبت إلى مركز الأمن الذي أعمل به، ليتحروا عن الحادثة.

تفضل بالدخول.

نعم سيدي، أنا في خدمتك.

أنت الشاهد الوحيد على ماحصل، أخبرني كيف حدث الأمر.

سيدي أنا كنت في طريقي إلى أن سمعت ضجيجًا قويًا وأصواتًا مربكة، ذهبت لأرى ما يحصل، فصادفت مجموعة شباب تعتدي على ذلك العم، لم أستطع التدخل لأنه سرعان ما ذهبوا، حاولت مساعدته لكنه كان قد فقد حياته.

وإن رأيت هؤلاء الشباب هل ستتعرف عليهم؟

نعم، يا سيدي أستطيع تمييزهم.

حسنًا سننتظر إلى حين رفع البصمات.

احترامي سيدي.

تفضل وشكرًا لتعاونك، ابقي هاتفك مفتوحًا قد نحتاجك.

أكيد سيدي أنا في الخدمة.

أخرج من غرفة التحقيق وأنا في راحة تامة بأنني قد خرجت من الأمر دون أي عناء، تبقى أن أعلم عنوان منزله ومساعدة أهله، لكن من أين سأعلم بهذا، لم يكن لي سوى ملفه في الأمن، أو بالأكيد هناك أحد من عائلته على علم وهو قادم، عندما أرى أي شخص من طرفه

سأعطيه مبلغًا جيدًا، أنتظر في مكتبي قدوم عائلته، لأرى زوجة مع سبعة أولاد، يبدو أنهم ضاعوا بين الدهور القديمة، ولم يواكبوا الحداثة، ماذا فعلت أنا؟ لقد قتلت معيلهم، يجب ان أتكلم مع كبيرهم لعلي أستطيع المساعدة، اقتربت من الابن الكبير.

كيف حالك؟

أنا ببخير.

هل أنت الكبير هنا.

ننعمم.

رحمة الله عليه، يُقبل عند الله شهيدًا بإذن الله.

ههل تتعرفف أبي؟!

لا أعرفه لكن أنا أعمل هنا قمت بغسله وتنظيفه ودفنه، رجل مسكين بان النور في وجهه، اعلم أنك إن احتجت لشيء فأنا موجود.

ششكرًا لك أخي.

خذ هذا المبلغ البسيط للعزاء وما شابه، والباقي للأطفال والبيت قوة من الله وصبر على مصيبتكم.

جزاك الله ألف خير، لا أعلم كيف سأشكرك.

لا شكر على واجب يا بني.

أقع مذنبًا بين تأتأة حروفه وبساطة عائلته، هل سيسامحني؟ لقد جررت عائلة نحو ضياع دائم، لن يجدي ندمي، مازال هوسي في رأسي، لن يموت، حتى لو الضمير الذي في داخلي ما زال حيّ.

إلى أين ستصل نهايتي، لماذا لا أضعكم في هذا، تخيلوا ما الذي قد يحدث لشخص مثلي! ماذا في بالكم؟

هل سأبقى على قيد الحياة؟!

هل سيكون لي رقيب أو محاسب؟!

أين أنت يا من ستقبض علي؟ ما النهاية؟! لن تمسكني!

لن يصل إلي أحد، سلام عليكم وعلى من قتل، وإلى اللقاء.

فاطمة محمد فوزي عبارة

السَّلام عليكَ يا قلبِي المكلوم، وعينك الدامعة!

لكن قِفْ هُنيهةً، وتأمل سُنة الله في خلقه

لتعرفَ أنَّ المِنحَ تولدُ من رحم المِحَن!

وتحسس إنا لله وإنا إليه راجعون،

لله فقط، لله فقط يا قلبي.

وجيه غزال

فقيد شهر فبراير

ألـم الفقـدان لا يضـاهي آلام الحيـاة بأكملهـا، وكـأنَّ صـخرةً كبـيرةً تجلـس فـوق قلـبي، وكـأنني أتلـوى ألمًـا، لـم أقِـس مقـدار حـزني بعد، ولا أعتقد أن هناك مقياس للحزن.

أليست الحياة ظالمة قليلًا، تأخذ أشخاصًا لطفاء وتترك ذوي القلوب القاسية، سئمت حقًا وليس باليد حيلة، تناثرت دموعي حزنًا وألمًا، ولـم يكـن لي دواء سـواك أنـت يـا خـالقي، تكسرت جميـع كلمـاتي، وتخليت عـن نفسي. منـذ زمـن، وإلى الآن لـم أدرك أن هـذا هـو الواقـع مؤلم، وأنني سأتقبله رغمًا عني.

لم أكن أتصور أن وفاة صاحبي، وأخ لم تلده أمي، ستكون قبل التخرج مـن الثانويـة العامـة، قبـل التخـرج بأسـبوعين، بعـد صـداقة دامـت ٦ سنوات! هي شهادة وفاتي أنا أيضًا!

فبعد أن جهزنا ورتبنا أنا وزملائي تصميم ثوب التخرج وترتيبات أخرى، وفي يوم الأحد تم توزيع ثياب التخرج وتم إخبارنا أنَّ اليوم التالي سيكون يوم التصوير، بدأت الحصة الأولى وإذ بالباب مغلق؛ لم يفتحه زميلي كعادته! هنا انشغل البال وبدأنا الاتصال عليه، إلا أن رقمه كان خارجًا عن الخدمة!

لم يمضِ إلا ربع ساعة، وإذ بمجيء المرشد الأكاديمي ليقول لنا: خسرتم زميلكم! يا ألله ما هذا الشعور، يا ألله لا أقدر أن أصف هذا الموقف، يا ألله ماذا حدث وقتها!

كُتمت الأصوات مدة حصتين، كنا جميعًا ننظر إلى مقعد زميلنا، ونقول: لعله مقلب من مقالبه؛ فقد تعودنا عليها، ولكن وللأسف خاب ظنّنا هذه المرة وكان قضاء الله حاسمًا للأمر، وإذ بعد دقائق عدة جاء والده إلى مقعده، وجلس يبكي، والله دموعه هزت مشاعرنا، تمنينا وقتها أن تُشق الأرض، أو أن تُسحب أرواحنا! لم نصدق يا ألله، أيام تبقت لتخرجه، كان ينتظرها بفارغ الصبر! فرحته بالتخرج كانت كفرحه بشخص رأى حلمه يتحقيقه، ولكن القضاء كان أسرع، فخسرنا شخصًا لو وصفنا طيبته لما أجَدنا في وصفها، ولو تكلمنا عن أمانته لما وفيناها حقها، خسرت عزيزًا، خسرت شقيق الروح، خسرت أخًا لم تلده أمي، خسرت شخصًا كان كل شيء.

آه يا دنيا ماذا فعلتِ بي! آه يا دنيا ماذا فعلتِ!

وإذ بشخص من زملائي يقف ويقول لنا: سنحب، ونكره وننسى في حياتنا، سنتعلق بأرواح تشبهنا، وسنقابل أناسًا أحببناهم، فنتصور أنهم لن يفارقونا أبدًا، وكأننا نُلغي في أعماقنا حتمية الفراق وضرورات الرحيل.

فـاعموا أنهـا تلـك الحقيقـة الـتي تعلمهـا كـل نفـس، لكنهـا تبعـدها بقناعـة داخليـة وتقتنـع أن الـذين نحـبهم لـن يرحلـوا أبـدًا؛ بسـبب وعـــودِ اللافـــراق! لكـــنهم ســـيرحلون، وســـيبقى مـــنهم شيء في الـذاكرة يمنعنـا مـن نسـيانهم، وكـأن النسـيان يهـاب الاقـتراب مـن أسـمائهم! فـأقول كمـا قيـل في فـراق الأحبـة: "صـدعٌ في الفـؤادِ لا يلتئم أبدًا".

وأقـول أيضًـا: إنّ القلـب ليحـزن وإنّ العـين لتـدمع وإنّـا عـلى فـراق فقيـدنا لمحزونـون، فأنـت فقيـد الـروح والقلـب، وفقيـد فرحـة التخرج يا فقيد شهر فبراير.

ولكنني أقول: إنَّ مع كثرة الوفيّات وتعبير النّاس عن ألمهم لفراق أحبتهم؛ يخطُر ببالي "التّخليد في الجنّة" - إن شاء الله- وأتخيَّل كرم الله تعالى، في أنّه سيجمعنا مع أحبابنا الذين انفجعنا بوفاتهم للأبد، وخاصةً عندما أتذكّر أنّه يُؤتى بالموتِ كبشًا، فيُقتَل، ويُنادي مُنادٍ: "يا أهلَ الجنّة خُلودٌ فلا موت"

ويخطـر ببـالي: "فعـلًا عـزاء البشرـ الوحيـد في مـوت أحبـابهم أنّـه فـراق مؤقت"، "وإنّما هي دُنيا، وغدًا في الجنّةِ نلتقي؛ فلا تبتئس"

وبعـدها بأيـام، وأنـا أقلّـب صـفحات كتـاب مـا، أجـد هـذا كـلام: "يأتيك عوضُ الله فجأة، فتضحك من نفسك."

يا ألله كيف كُنت أحزن على فراقِ أمورٍ لم أكن أعلم أنها مقدرة ومكتوبة، ولا اعتراض على حكم الله.

فتذكر أن عوض الله يأتيكَ ليثبت لك؛ أن الله دائمًا ما كان يُطمئنكَ بإشاراتٍ وعلامات، وكُنت أنت مُغمض العينين والقلب عنها.

وجيه محمد غزال

إن الأمل هي تلك النافذة الصغيرة، التي مهما صغر حجمها، إلّا أنها تفتح آفاقًا واسعة في الحياة، وإنّ الغروب لا يحول دون شروق جديد.

وأن أجمل هندسة في العالم؛ هي أن تكون قادر على بناء جسر لك من الأمل فوق نهر من اليأس، فكن واثق بأن الثقة بالله هي أزكى أمل، وأن التوكل عليه هو أوفى عمل.

هبة زهر الدين الحاج ربيع

نافذة أمل

لكل منا حكاية ظالمة وقصة مؤلمة، فنحيا في هذه الحياة ضعفاء وأبرياء، لا نستحق مما نعيشه وبالكاد نصبح أقوياء، ولن نجد أهدافنا ودوافعنا إلا بعد انكسار وألم.

فلابد للإنسان عيش حياة البؤس والظلم منذ الصغر ، وما حدث معي من الممكن أن يتكرر لكثير من الناس، ستتساءلون الآن عما حدث، سأجيبكم دون مماطلة، لقد بدأت مسيرة الأمل في العمل كطبيب للبشر، فلماذا الحزن وكل هذا الألم؟ فالجميع يتمنى مكانتي ومهنتي، ولكن وصولي إلى هذه المكانة ليس بالسهل، وإنما بعد معاناة وانكسار وظلم، ولا ينهض إلا القوي والمثابر وذو إرادة قوية.

فلا يمكننا نحن البشر الاستعجال بالحكم على حياتنا، بأنها ظالمة ومؤلمة وأننا سنبقى كما نحن ونعاني طيلة حياتنا في هذا الشقاء، بل سيأتينا يوم ما وننجوا من هذه الهاوية، ونستعيد حياتنا بقوتنا وباجتهادنا، فكل يوم مؤلم يمضي، لابد أن يقابله يوم ينسج خيوط الأمل في حياتنا، وتشرق شمس الأمل على نفوسنا، ولا بد من تغير مجرى حياتنا من طريق التعاسة إلى طريق السعادة، ولكن الحياة تقسو علينا أحيانًا، لنصل إلى مكانة عالية، وتعود علينا بالفائدة، وتكون درسًا لنا؛ لنتعلم مبادئ الحياة الأولى، ونكون ذوو إنسانية في حياتنا مهما عشنا ورأينا من القلوب السوداء المتفحمة، سنتعلم أن

نبقي ضميرنا في قلوبنا، حتى وإن تجردنا من الإنسانية، فمن الصعب الوصول إلى دوافعنا، دون أن نشقى ونجهد في سبيل حياتنا.

من هنا بدأت حكايتي وقصتي؛ عندما جرحت بفقدان أمي في صغري جرحًا عميقًا لا يلتحم، فأنا لا أذكر أمي كثيرًا إلا كملامح الشبح في مخيلتي تارة أتذكرها وتارة لا، كضباب عشته كالحلم، لكنني أتذكر رائحة الأدوية التي كانت تتناولها، فعندما ولدتني أمي مرضت مرضًا شديدًا أثّر على حياتها، ولم يكن لدينا من المال ما يكفي لمعالجتها، فبقيت أمي على حالها حتى وافتها المنية، كنت ذاك الوقت ما زالت في الخامسة من عمري.

بعد وفاة أمي تزوج أبي، وكبرت بتربية زوجة أبي، فعانيت الأمرين منها ولم أستطع أن أخبر أحد عما أذاقتني إياه، لأنها أمام أبي والآخرين تصبح كالملاك وتعاملني جيدًا وتهتم بي وتخبرني أني ابنها الوحيد فتعناقني وتدعو لي بالخير، أما عندما لا يكون هناك أحد ينقلب وجهها وتتغير لتصبح واحدة أخرى، وعندما أقوم بشيء يغضبها تضربني وتشتمني، عندها أدركت أنني وحيد ولا أستطيع إخبار أبي لأنه لن يصدقني، بدأت أنطوي على نفسي رويدًا رويدًا وأكتم الظلم والقهر في نفسي.

دائمًا ما كنت متميزًا بعلاماتي في المدرسة، لكنني الآن أصبحت في تراجع ملحوظ، وشعرت بفقدان أمي واشتياق لها، ولكنني أعلم أن

هذا ما أختاره الله لي؛ فرضيت بقدري وابتسمت ابتسامة كي أستطيع مواجهة مايعتلي طريقي وقلبي.

دخلت سن الثانية عشر، ويا لها من فرحة إذ لا زالت حياتي في منوالها، أما عن زوجة أبي فهذه المرة كانت تنتظر مولودها بحماس وأبي معها سعيد جدًا وكأنني اختفيت من حياتهم، ولا زلت أتمنى من أبي أن يتساءل عن حالي وكيف تعاملني زوجته، لم يجد حاجة تدعوه ليسأل لأنه دائمًا ما يجدها تعاملني أمامه بشكل جميل فلم يتخيل أنها قد تكون في يوم ما قاسية، فكلما يراها يجدها تهتم بي وتستفسر عن حالي، لكن من وراء ظهره وجه آخر يتمثل بالتماثيل الكاذبة، إلى أن أتى ذلك اليوم الذي اجتمعت زوجة أبي بمولودها، عندما تحول كل الاهتمام لأخي الصغير، وشعرت يومًا بعد يوم أن تصرفات أبي تجاهي لم تعد مثل قبل، بدأت أشاهدهم وأراقبهم من بعيد فالمحبة في أعينهم للأخ الصغير.

ولكنني أتساءل دائمًا في نفسي. لماذا أشعر بنقص في حياتي؟ لا زلت أكتم حزني وأنيني في وحدتي وأردد كلمة لماذا؟ زوجة أبي لا تحبني رغم أنني أعاملها معاملة طيبة حتى أني أضعها مكان أمي كي تعاملني مثل ابنها فقط، وإلى الآن وعلى رغم معاملتها القاسية أكن لها الاحترام والتقدير.

وبعد مرور سنين عدة، أتى ذلك اليوم وأصبحت في سن السادسة عشر وكان أخي في عامه الأول في المدرسة، ظهرت نتائج الشهادات

وبدأت المباركات تنهال على أخي الصغير فهو الأول على صفه أما أنا فقد أهملت الدراسة وتراجعت علاماتي، عدت إلى المنزل متعب وحزين وأخي سعيد بشهادته، بدأ الحساب بعد رؤية الشهادات حينها عانقت ابنها بسعادة وتباهت به أمام أبي، وسعد أبي به وبدأ يكافؤه على ذلك، شعرت بالغيرة الشديدة من اهتمامهم به، أما أنا فنلت التوبيخ والتقصير من أبي وزوجته، شعرت بالحزن الشديد، يتم شراء كل شيء لأخي ويهتمون بكل تفاصيل حياته، أما أنا فأشعر بأنني لست من عائلتهم.

تغيرت تصرفات أبي تجاهي أكثر فأكثر، أصبح يغضب ويصرخ علي بشدة، حتى أنه وفي ذات يوم لأول مرة ضربني ولم أعرف ما هو سبب تصرفه هذا أو ما سبب تغيره الفجائي تجاهي، لكنني علمت السبب لاحقًا؛ حيث كانت زوجته كل ليلة تعلمه بأخبار سيئة عني، كل أخطاء أخي الأصغر تقع على عاتقي؛ فتخبره أني فعلت ذلك رغم أني لم أفعل أي شيء، حتى ضاقت حالي وجاء يوم الكشف عن الحقائق التي طفح كيلي منها، وفاستجمعت شجاعتي لإخبار أبي الحقيقة، ذهبت إليه مسرعًا خائفًا محتارًا من ردة فعله حين يعلم بما تقوم به زوجته، فأخبرت أبي أنها كانت تتكلم عن أمي بكلام سيئ وبذيء، وأنها تضربني وتعذبني، ولا تعاملني كما تعاملني أمام الآخرين، عم الهدوء فجأة!! وأصبح وجه أبي أحمر من شدة غضبه، ولحقته بعدها صفعة قوية على وجهي تطرحني أرضًا متألمًا، كنت أعلم أن

ردة فعله ستكون هكذا، لذا لم أخبره كل هذا الوقت إلا بعد أن طفح الكيل، فأجابني أبي برد مؤلم: أخبرني يا طارق هل هكذا تفعل بأمك المسكينة؟ هل هكذا تجازيها بعد أن ربتك وتعبت عليك وأحبتك واهتمت بك؟ أنت ناكر للمعروف!! من أنت لتقول عنها هذا الكلام؟ تلك التي تشتكي عنها كذبًا هي أمك، حتى تعالت أصوات أبي وبقي يضربني إلى أن دخلت هي مسرعة ووقفت أمامه لتوقفه عن ضربي، ولتظهر محبتها أمامه، فقال لي: انظر أتت لتحميك، وأنت ماذا تقول عنها، أخرج من هنا لا أريد أن أراك، خرجت من غرفته منكسرًا باكيًا، وفاقدًا للأمل.

أبي الذي كنت أعرفه حنون القلب، بعد وفاة أمي أصبح قاسيًا، وكأني لم أعد ابنه، كأني العدو، كان آخر أمل لي بأبي أن يسمعني ويتفهمني، لكن دون جدوى، حتى أنها لم تقف إلى هذا الحد بل زرعت في رأس أبي فكرة وضعي في مدرسة داخلية، كي أتعلم الأخلاق والتربية كعقاب لي، أسرع أبي وأبعدني عنه وعن منزلي ونقلني لمدرسة داخلية.

تتساءلون الآن عن مشاعري؟ هل أشعر بالحزن؟ هل أشعر بالانكسار والوحدة؟ رغم أني شعرت بتلك المشاعر الثقيلة إلا أن هذا الموقف أشعرني ببعض من الفرح والسعادة وبمشاعر مختلطة، شعرت أيضًا أني أخرج من السجن وأذهب إلى بقاع الحرية، وفي ظنها تبعدني عن أبي وترسلني إلى الجحيم، لكن أنا أردت التخلص من العيشة معهم، لأني أشعر بالحزن الدائم، حتى أنها جعلت أخي

يكرهني وزرعت الحقد في قلبه، ولكنني اخترت الذهاب بسلام، بلا عراك مع أخي و أبي.

مرت الأيام والشهور وقضيت أجمل أيام حياتي داخل هذه المدرسة، تعرفت على أصدقاء جدد وتخلصت من حزني وتعلمت، درست واجتهدت على نفسي، حتى وضعت أهدافًا بعد أن أتخرج من المدرسة.

كنت أترقب من نافذة صغيرة مجيء أبي ليلًا ونهارًا ، يومًا بعد يوم، كانت النافذة بالنسبة لي بصيص أمل، وها أنا أنتظر قدومه لحضور حفل تخرجي، ولكنه لم يأتي ويسأل عني ولا لمرة واحدة، ولكن كما يقال لكل نهاية بداية جديدة، وأنا الآن طبيب جراح في المشفى، ومن أجدر أطباء العمليات، الطبيب"طارق"، أعمل في طريق الخير وأساعد المرضى الفقراء في عملي.

لقد انقطعت أخبار أبي عني، فلم أسمع عنهم منذ أن أرسلني إلى المدرسة، إلى أن أتى ذلك اليوم؛ كنت أتمشى في ممر المشفى لأسمع صرخات تنادي وتعلو، ذهبت نحو الصوت خطوة وراء خطوة، لأسمع صوتًا مألوفًا يقترب مني، وإذ بي أرى أبي وأخي وزوجة أبي، وقفت في صمت ودهشة، ثم عدت إلى غرفتي لأختبئ منهم، فلا أريد أن أتذكر ماعشته في الماضي، إلى أن جلبوها إليّ على كرسي متحرك، ويصرخون أين الأطباء ساعدونا؟ كانت حالتهم مرثية لم يكن معهم مال للعلاج، وزوجة أبي في حالة صعبة؛ فحصها الأطباء جمعيهم

وأقروا بموتها المحتم، لكنهم أخبروا عائلتي أنه ما زال هناك طبيب آخر لم يفحصها وهو طبيب ممتاز، فسمعت صوت الممرضة تناديني "الطبيب طارق"! ينتظرونك لمناقشة حالة المريضة وفحصها في غرفة المعاينة، فرح أبي كثيرًا فقال حقًا أين هذا الطبيب؟ يجب أن أراه بسرعة وأتمنى أن يجد علاجًا شافيًا، توجهت نحو باب غرفة المعاينة، رآني أبي ونظر إلي باستغراب وكأنه رأى شبحًا أمامه، وقف جامدًا من صدمته، فذهبت نحوه بكل ثقة وأجبته، تفضل أنا الطبيب طارق بماذا يمكنني مساعدتك؟ نظر أبي بهول من المنظر، ويتساءل كيف أصبحت طبيبًا؟ فكل الذي يتذكره عني أنني كسول ومزعج ولا أفلح بشيء، وفجأة أمسك يدي وبدأ يبكي ويقول: طارق هل هذا أنت حقا؟ ساعدنا نحن بحاجتك، استعجل بفحصها. أما أنا كنت واقفًا أنتظر اعتذارًا منه على مافعله بي.

يردد باكيًا: لا أريد أن أفقدها مثلما فقدنا أمك، حتى أتت وطلبت مساعدتي لعلاجها.

أعلم أنني اختبرت الظلم وعشت ما لا أطيق بسببها، لكنني لم أفقد ضميري حتى أضع الماضي أمام عيني وأراجع مافعلته بي بقلب قاسٍ ووضيع، لقد عشت حياتي كي أكون إنسانًا بضمير واعي، تعلمت ألا أحقد على أحد، فأسرعت لفحصها وعلاجها، كما تكفلت بمصاريف المستشفى حتى خرجت من العملية سالمة، استفاقت وطلبت مني

العفو والسماح على مابدر منها، حتى أنها اعترفت لأبي عن أفعالها في الماضي، فعلم أبي بالحقيقة وهمّ بمعانقتي والاعتذار لعدم تصديقي.

لكن ما الفائدة الآن؟! فقد فات الأوان، ولم أعد ابنه، اتخذت هذا القرار منذ أن أرسلني إلى المدرسة الداخلية، ولكنهم ولأول مرة فعلوا الشيء الصحيح؛ عندما أرسلوني بعد أن صفعت صفعة من الحياة تعلمت درسًا، فأكملت حياتي بإرادة قوية ووعدت نفسي- أن أكون مفيدًا بهذه الحياة، وعندما كنت في صراع مع نفسي- وحيدًا في تلك المدرسة، فهمت أنهم بتلك الأوقات كانوا متأملين بأخي، لكنه لم يصبح أي شيء إلى الآن، حتى أنه يغضب أبي كثيرًا ويعصيه، ولكن أبي في نهاية أمر تعلم من خطئه وعلم كل الحقائق.

وبعد خروج زوجة أبي من المستشفى كان يجب على أحدهم أن يرعاهم، فلم أترك أخي لوحده بل وجدت له وظيفة يكسب لقمة العيش ويصرفها على أمه وأبيه، وأصلحت الأمور معه، وتحسن كل شيء، حتى أنني عندما أذهب لزيارة أخي أرى زوجة أبي تعاملني معاملة الأبطال، وتستقبلني باحترام وتقدير، ابتلاها الله بالمرض حتى تأتي إلي وأكون طبيبها وعلاجها، وتكون بحاجتي لتعلم قيمتي وتصحو من غفوتها، فابتسمت ابتسامة عريضة للقدر ولحكمة ربي، ورددت في نفسي- فعلًا إن الإنسان مهما فعل لن يأخذ إلا ما يستحقه من هذه الحياة.

هبة زهر الدين الحاج ربيع

لكل شخص في الحياة أهداف وطموحات، وقد تتخللها صعوبات ومشاكل تصرف الشخصه عنه، فعليه التعلق بأحلامه وآماله ومحاربة أشباح اليأس.

نهى ياسر

عقدة ألم

في هذه الساعة المتأخرة من الليل الطويل المتسربل بثوبه الأسود المنبسط فوق هذه المدينة الغارقة في سبات عميق، كانت لبنى تخوض حربًا شرسةً مع نفسها، وكانت الغارة داخل معركة مليئة بالأفكار السوداوية، وكانت تواجهها في الجبهة المقابلة -الأفكار البيضاء- أو لنقل الإيجابية، كان المهاجمون يتصدون للأفكارِ السوداء بكل قوة وثبات، وكانت الدموعُ جماهير تشهد على هذه الحرب وتتأثر بهذه المجزرة، فما كان يبدرُ منها سوى الأمطار من عيني لبنى إلى وسادتها؛ علها تُهدئ هذه الملحمة البَليَّة وتغسل غلها.

كانت لبنى تواجه الأفكار الانتحارية التي تدفعها لتفتك بنفسها وتقتلها وكانت تحاول جاهدة إسكات الصوت الذي يخرج من عقلها "لبنى أحضري سكين وقطعي أوردتكِ! لبنى خذي الكثير من الأدوية الضارة! لبنى اذهبي إلى الأعلى وارمي بنفسكِ! هذه الحياة لا تفيد" كان الصوت يملأ كل حزنها الطافح، ولكن خوفها من الله وعواقب الانتحار التي ستدخلها جهنم كانت تمنعها من تنفيذ هذه الخطة اللعينة، راحت لبنى تضرب رأسها وتقول له: أرجوك! أرجوك اصمت! يكفي كل هذا الألم، أرجوك توقف! أرجوك يا ألله لا أريد أن أموت كافرة ولا أستطيع إيقاف هذه الأفكار.

كانت ساحة الوغى شرسة بين الطرفين، ودموع الألم كانت تسعى لإخماد هذه الحرب الدائمة في ذهن لبنى، مر الليل الطويل المثقل بالهموم والآلام والأحزان، وخرجت شمس الصباح وكانت تحمل مع نورها نورًا يدفع لحمل بعض الآلام ونسيان بعضها، كانت الشمس ونورها كمزيل الرجفان بالنسبة للبنى؛ تبث بعض الأمل في قلبها كما يفعل هذا الجهاز في بث الصدمات الكهربائية في الجسم ليعود القلب للنبض والعمل.

حملت لبنى حقيبتها وتوجهت إلى حافلة المدرسة، فهي طالبة في الصف الحادي عشر في القسم العلمي، وهي أخت لأربعة إخوة، وكانت أصغرهم سنًا وأكثرهم حزنًا، كانت وحيدة في المنزل والمدرسة على حد سواء ولكنها كانت تخفي وحدتها في المدرسة، لم تكن تبدي حزنها لأحد؛ فقد كانت تقدم المساعدة للجميع وتتحدث مع الجميع، وتبث الأمل والتفاؤل في قلوب الجميع، ولكن كما قال ابن القيم: "إن العيون مغاريف القلوب، بها يعرف ما في القلوب وإن لم يتكلم صاحبها"، وكذلك كان حال لبنى كان الألم والحزن يكسوان عيناها، لم تكن تستطيع إخفاء الظل الأسود المنعكس من عينيها.

مرت الأيام وكانت لبنى تتنقل هنا وهناك، وتضع حدًا يفصل بينها وبين جميع صديقاتها؛ فالجميع في ظنها مُبهم وقد يغزوها في أي لحظة من يشعر بضعفها، وظلت على حالها إلى أن جاء يوم كانت معلمة الرياضيات تشرح درسًا عن قانون فيثاغورس وأثناء شرحها

للدرس، دخلت طالبة جديدة للصف، كانت الطالبة متوترة وخائفة وكأنها رأت مجموعة من الصعاليك ينتظرون وصولها ليختطفوها، قامت المعلمة بالترحيب بالطالبة الجديدة، وعرفت الطالبة عن نفسها، ثم جلست بجانب لبنى، همست لبنى بصوت خافت: أهلًا بكِ في صفنا، وقطع صوت لبنى الخافت صوت المعلمة العالي حين قالت لهند: هل استلمتِ الكتب يا هند؟

هند: لا لم أفعل، سأستلمهم بعد الحصة إن شاء الله.

المعلمة: لا، اذهبي الآن وخذي الكتب، من يتطوع للذهاب مع هند؟

رفعت لبنى يدها وخرجت مع هند، وفي الطريق كانت هند تضحك بشكل مريب، فظنت لبنى أن شيئًا في مظهرها يدعو للضحك، فوجَّهَت سؤالها لهند: ما الذي يُضحكُكِ يا هند؟

هند: لا شيء يا لبنى، ولكن عندما أشعر بالتوتر أضحك لأنفض شعور التوتر والاضطراب من معدتي.

ضحكت لبنى وقالت لها: لا تتوتري؛ فالجميع هنا لطفاء وستحبينهم بالتأكيد.

هزت هند رأسها موافقة وأكملت طريقها مع لبنى، وفي الطريق كانت لبنى تتحدث مع نفسها وتقول: ما هذه الفتاة الغريبة، كيف تضحك دون سبب؟ إنها أشبه بمختلة.

مرت الأيام وأصبحت لبنى من أعز صديقات هند وكانت هند الفتاة الوحيدة التي كسرت الحاجز التي تضعه لبنى أمام الجميع، وكانت تسعى جاهدة لاكتشاف الحزن الدفين الذي تخفيه لبنى في عينيها، ولكن دون جدوى؛ فلبنى فتاة شديدة الغموض لا تتحدث عن حياتها الخاصة، ولا تشارك أسرارها مع أحد، فكانت تشعر بالوحدة رغم ازدحام الناس حولها، كانت تردد دومًا في ساعات الليل المتأخرة "لا أحد يفهمني رغم كثرتهم فما فائدتي منهم؟"، الوحدة تقتلني وتطفئ كل بريق يتوهج في داخلي، ليتني أستطيع العودة إلى ذلك المكان، وأغير ذلك الحدث الذي قتل روحي وأبقى جسدي عالقًا في عالم الذكريات، تائهًا يصارع الحياة وحده ويبحث عن روحي التي أعدمت في الماضي، ومع صوت عقارب الساعة المزعجة (تك..تُك..تِك..تُك) تذكرت قول النابغة الذبياني:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

تَطاوَلَ حَتّى قُلتُ لَيسَ بِمُنقَضٍ وَلَيسَ الَّذي يَرعى النُجومَ بآيب

وَصَدرٍ أَراحَ اللَيلُ عازِبُ هَمِّه تَضاعَفَ فيهِ الحُزنُ مِن كُلِّ جانِبِ

راحت تبعد ذهنها عن أفكاره السلبية وتدخله في فضاء الشعر والشعراء، أغمضت عينيها وتخيلت نفسها تجلس مع النابغة وهو يواجه الليل المليء بالحزن، وهي بدورها تشاركه أحزانها وتخبره عن العالم الحديث وما آل الشعر إليه، بدأ خيالها عندما فتح لها عقلها

بوابة سحرية، سحبتها من عالمها وراحت تحلق إلى أن وصلت إلى العصر الجاهلي، وحطت بجانب النابغة وهو يرعى النجوم، فارتعد منها، وقال لها بنبرة تخالطها الرعشة والهلع: رفقًا بحالي يا نازلة، فأنا أعتذر من النعمان وكتبت له اعتذارات لم يشهد العرب مثلها، أرجوكِ لا تخبريه عن مكاني؛ فرأسي سيقطع وبالعفو والصفح أنا أطمع.

ردت عليه لبنى: هدئ من روعك يا كبير الشعراء، فأنا من العالم المتطور (الحديث) جئت أرعى النجوم معك وأشاركك بعض الأحزان.

فتسرق بكلامها اللطيف ابتسامتها التي تملأها الحزن والسرور، وتجلس معه وتخبره عن العالم الحديث وما آل الشعر إليه، فتخبره أن الطبول لم تعد تقرع للشاعر ولا تفرح به القبائل، وأن الشعر لم يعد يجلس على عرش الفنون ولم تعد تفتح له الأسواق، فينبثق من وجه النابغة علامات الأسى والحسرة.

تبدأ البوابة السحرية بالإقفال عندما يصدر هاتفها صوت استلام رسالة، فتوقظها من حلم اليقظة والخيال لتنظر إلى هاتفها وتقرأ رسالة مكونة من ثلاث كلمات تقول لا تقتربي مني، فتغط لبنى بالبكاء مع لوعة تشلع قلبها ليكتمل المشهد الأليم، وينتهي الليل السَابِغ.

يشتد حزن لبنى وتبدأ تصرفاتها الغريبة بالظهور، كانت تقضي أيامها بالنواح وإعطاب الأشياء ولانبتار أملها، كانت صديقتها هند تلاحظ تغير لبنى المفاجئ؛ فلم تكن قبل حزينة إلى هذا الحد ناهيك عن

ابتسامتها التي توارت، كانت هند تحضر لها الوجبات الخفيفة وتحضر لها الورد والشوكولاتة، وتتودد إليها بكل السبل اللطيفة، ولكن البأس كان يلتحف وجه لبنى، وكانت كعادتها غامضة وتبرر يبس وجهها بقولها: متعبة من أثر الدراسة، لم آخذ قسطًا كافٍ من النوم. ولكن هند لم تكن تقتنع بكلامها؛ فحالها يؤكد أن لا شأن للدراسة بها، فراحت تراقبها من بعيد، وتتبعها عندما كانت تتغيب عن حصة الرياضة لتبقى وحدها في الصف، فتراها تصفع نفسها وتصرخ وتنادي: فاطمة! أرجوكِ، توقفي، لا تختفي، لا تتركيني! وتستمر هذه المسرحية حتى تهلك من البكاء، وفي إحدى المرات دخلت هند الصف الذي تجلس به لبنى حيث كانت تقوم بإعادة مسلسها الذي يبث في يومي الأحد والخميس -في حصة الرياضة- وكانت لبنى منهارة ولكنها عندما رأت هند تنير الأضواء صرخت بها: لا تشعلي النور ستذهب فاطمة ستخاف وتختفي لا، إنها في الأعلى تنتظرني، لا تفعلي ذلك يا هند.

شعرت هند بالخوف الشديد وظنت أن الأشباح قد استولت على المكان، ولكنها استعاذت بالله وراحت تهدئ لبنى والخوف والدهشة نسجت خليطًا في قلبها، لم تكن تدري ما الذي يجدر بها فعله.

وفي اليوم التالي جلست هند مع لبنى وقررت سؤالها عن سرها الدفين، قالت لها: لبنى! يا صديقتي ما الذي يشغل بالكِ؟ لماذا تتصرفين بهذه الطريقة العجيبة؟ أرجوكِ أخبريني!

لبنى: حسنًا يا هند سأشرح لكِ كل شيء ولكن عديني ألا تخبري أحد.

هند: أعدكِ.

لبنى: منذ سنة ونصف تقريبًا كان لدي صديقة تدعى فاطمة، وكانت مصابة بسرطان بالدم، لم تكن مجرد صديقة، بل أختي وتوأم روحي؛ ترعرعنا معًا منذ نعومة أظافرنا كانت كل شيء بالنسبة لي، حلمنا سويًا وبكينا سويًا، لم يكن أي شيء يكدر صفو صداقتنا، كانت تفهمني وتعلم كل ما يدور بداخلي دون أن أتفوه بحرف واحد، وكما أخبرتكِ آنفًا هي مريضة بسرطان الدم مذ كانت في الصف الثالث، كانت تقضي معظم أيامها في المستشفى، وكنتُ بقربها دائمًا، ولكنني بفترة ما ابتعدت عنها وليتني لم أبتعد.

وراحت تبكي بحرقة، فقاطعت هند بكاءها وقالت لها: اهدئي! اهدئي يا لبنى لا عليكِ لا تكملي إن كنتِ لا تستطيعين.

لبنى: لا، سأكمل.

وأكملت لبنى حديثها: كنت في تلك الفترة قد حصلت على هاتف جديد، وكنت في قمة فرحي؛ فهذا أحد أحلامي وقد تحقق، انشغلت بالهاتف وفرحتي به ونسيتُ صديقتي، إضافة لذلك كنت أحب ابن عمي، في الواقع هو ابن عمي وابن خالتي في آن واحد، وفي تلك الفترة أخبرني بأنه يبادلني المشاعر ذاتها، فتضاعفت فرحتي وشعرت أني أملك الكون، وأن عالمي الوردي يتمختر ويتزين أمامي؛ فكل ما أتمناه

قد تحقق، وغبتُ عن صديقتي طيلة شهرين، لم أتحدث معها ولم أقم بزيارتها، إلى أن أتى ذلك اليوم اللعين؛ عند الساعة الثالثة فجرًا استيقظت على صوت هاتفي وكان الاتصال من أم فاطمة، شعرت بالخوف وبالتردد، شعرت أن مكروهًا قد حصل، صمتت لبنى قليلًا وهي تحاول تمالك نفسها.

هند: ما الذي حصل؟!

لبنى: أجبتُ على الاتصال وكانت أم فاطمة تبكي وتقول: لبنى! لقد توفيت فاطمة، وقبل أن تتوفى بدقائق كانت تدعو لكِ بالسعادة والتوفيق، لقد كانت تحبكِ كثيرًا يا لبنى.. كثيرًا.

انهارت دموع هند تأثرًا بالقصة، وأكملت لبنى: ومنذ ذلك الحين طيف فاطمة لا يفارقني يا هند، لقد ذهبت إلى الكثير من الأطباء ولكن بلا جدوى، فالجميع أخبرني أنها مجرد وهم، وعندما انتهاء كل جلسة أخبرهم بأنني سأذهب لفاطمة وأخبرها أنها مجرد وهم.

هند: وماذا عن ابن عمكِ؟ ألم يقف بجانبكِ؟

لبنى: لا، لم يفعل؛ فكان مجرد كاذب يتخفى خلف ستائر تبرق بالحب، كان يعلم بأني أحبه؛ فقام باستغلال الوضع لأنه كان يرى أن الحب جسد يحتله وليس قلبًا يحتويه، لم يعلم عن الحب سوى حروفه، لقد طلب مني أن أبتعد عنه، لقد أنهى كل شي برسالة تتكون

من ثلاث كلمات، وبالأمس كان حفل زفافه، لقد زف إلى زوجته، وروحي شيعت إلى قبرها.

عمَّ الصمت واحتضنت هند لبنى والدموع تجري من عينيها، مرت أيام وهند تهتم بلبنى وتقف إلى جانبها، إلا أن لبنى تتعامل معها بجفاء، وعندما تتصل بها تصرخ في وجهها وتقذف عليها قذائف كالسم ثم تغلق السماعة في وجهها؛ لم تكن تقصد ذلك ولكنها في حالة نفسية تخرجها عن وعيها وتجعلها ترى العدو والصديق في صف واحد، كانت هند تعلم بحالها ولم تحزن أو تتضايق منها بل كانت تسعى جاهدة لترسم الفرح على وجهها، لكن لبنى شعرت بالحزن على هند، وقررت الابتعاد عنها مع نهاية الفصل الدراسي.

وبعد انتهاء الفصل أغلقت لبنى هاتفها وابتعدت عن الأنظار، شعرت هند بالخوف الشديد؛ ظنًا منها أن مكروهًا قد حصل للبنى، فقامت بالاتصال بوالدتها وسألتها عنها، كانت أم لبنى تتهرب من الإجابة فأخبرتها هند أنها تعلم بحال لبنى وبصحتها، وأنها تريد الاطمئنان عليها، فصعقت وأغلقت الهاتف في وجهها، وراحت توبخ ابنتها لأنها أخبرت صديقتها عن حالتها وقالت لها: ألا يكفي أننا نتحمل جنونكِ؟ ألا يكفي أنكِ تسببين لنا الإحراج أمام العائلة؟ وانهالت عليها أمها بالكثير من الكلام السام الجارح ثم خرجت من غرفتها.

بعد تلك الحادثة قررت لبنى أن تخرج من حالتها المثيرة للشفقة، قررت أن تضع حدًا لكل شيء، وكانت أول خطة لها هي العمل، فقد

كانت بارعة في التصوير، كانت تصور الحفلات والأعراس والمأكولات الشهية في المطاعم، لتعود إلى البيت منهكة من كثرة العمل، فتغط في نوم عنيق لا تستيقظ منه إلا مع خروج شمس الصباح.

وقامت بترك أدوية العلاج النفسي التي كانت تتناولها -والتي كانت في الواقع تجعلها تجن من دونها لأنها أدمنتها- بدايةً عانت كثيرًا بدونها لكنها لم تستسلم وتخلصت منها، وتذكرت الأحلام التي كانت تنوي تحقيقها مع فاطمة فراحت تسعى جاهدة لتحقيقها؛ فانضمت لجمعية تطوعية وأصبحت تساعد الناس وتسعدهم، وهكذا استطاعت التخلص من نفسها التي كانت تنوي قتلها، لم يختفي الألم والحزن من قلبها؛ فلكل واقعة بصمة لا يندثر أثرها، لكنها استطاعت أن تدع الغبار يكتنز هذه الوقائع حتى تنساها، وأكملت طريقها وبناء ذاتها وتحسينها، كانت فخورة بنفسها وتقدمها، وتيقنت أن الداء الذي لا تنوي الخروج منه لن يفارقك حتى لو وضعت له ألف دواء.

نهى ياسر